أوراق

علي أرض بلقيس

كنت صحافياً في اليمن



محمد عبده محي الدين

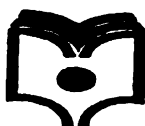
أوراق على أرض بلقيس

كنت صحافياً

في اليمن

محمد عبده محيي الدين

يوليو ٢٠٠٢م



عزة للنشر والتوزيع

الخرطوم – السودان

ناشرون موزعون – ووكلاء لدور نشر

الكتاب : اوراق على ارض بلقيس

المؤلف : محمد عبده محي الدين

رقم الإيداع : ٣٤١

تاريخ النشر : ٢٠٠٢

الناشر : دار عزة للنشر والتوزيع

الإدارة : شارع الجامعة - الخرطوم - جنوب وزارة الصحة

ت ٧٨٧٢٠٠ فاكس :- ٧٩٧٠٨٤ ٠ ١١ - ٢٤٩+)

التوزيع : دار عزة للنشر والتوزيع ت : ٧٨٧٢٠١ السودان

- الخرطوم ٠ ص ب : ١٢٩٠٩

بريد إلكتروني : azza ph @ yahoo. com

الطابعون : شركة دار الأشقاء للطباعة والنشر والتوزيع المحدودة

الإهـــــداء

إلى زوجـــتي إقبال على بابكر التى شاركتني أيام اليمن ولم تـــقبض الثـــمـــن فقد أورثتنى هذه المهنه الفقر والسهر والحمى .

إلى اطفالي الذين يتذكرون صنعاء عندما تحرقهم شمس الخرطوم رؤى ورامـــى وروعه وخالد .

إلى صديقي الأستاذ حسن العدينى الذي لولا صفحات "الأسبوع" لما كان هذا متاحاً .

إلى صديقي الأستاذ عبده بورجي مستشار الرئيس الصحفي الذي بدأت معه أول مشوار في الصحافة اليمنية .

مقــدمة

عندما حزمت حقائبي للسفر إلى صنعاء في العام ١٩٨٨م كنت قد جلست إلى الصـــديق الدكتور عبد السلام نور الدين الذي كان قد قضى فترة أكاديمية في اليمن... وقـــال لي نور الدين في "وآنسة" عن السودانيين والتعايش في دول المهجر العربية : أن الـــيمن أقل إيلاماً في تجربة التعايش.. وكنت أستمع إلى حديثه وفي ذاكرتي أن اليمانيين مـــن أوائـــل العرب الذين عرفوا الهجرة وهاجروا وتفرقوا أيدي سبأ.. هاجروا إلى كل أقاصي الدنيا.. ماليزيا، إندونيسيا، أمريكا، استراليا، بريطانيا، السودان، ولا ننسى آثار هجـــرهم في دول القرن الأفريقي : أثيوبيا والصومال وجيبوتي وإريتريا وكينيا، وكانوا الاجـــرأ والأســـبق في اقتحام كل المهاجر والبلدان الأخرى، دفعتهم ظروف اقتصادية وسياسية لذلك منذ عهد الإمامة في الشمال والاستعمار في الجنوب وما قبل ذلك أيضا..

اليمانيون تركوا أثرا في كل المهاجر.. اختلطوا وصاهروا شعوبها وتدفقت دماء يمـــنيه في أجســـاد سمراء أنتجت "اللون البرونزي" كما يقول عشاق "الخلطة" في أديس أبابا..

نجد الملامح العربية الآسيوية والأفريقية في أجيال كثيرة منهم من تقلدوا مناصباً كبرى في دول القرن الأفريقي ومنهم من احتفظوا بسلالة حضرمية في إندونيسيا حيث كان وزير خارجيتها "العطاس" من بيت حضرمي شهير، أيضا وزير خارجية ماليزيا الحالي من بيت "البار" الحضرمي.

الخـــرطوم ومدني شهدتا تظاهرة سياسية كبرى عندما حاولت حكومة الفريق عبود ان تسلم المعارض اليمني يحي الشرفي لحكومة الامام في صنعاء وقد تم لهم ما ارادوا وعـــاش الشـــرفي في السودان يحلم بالتغيير السياسي في بلده الذي جاءت به ثورة ٢٦ سبتمبر اليمنية.

قد تذكرت كلمات الدكتور عبد السلام نور الدين بأن اليمن "اقل إيلاما" حين طاب لي المقام في صنعاء وبحكم المهنة انفتحت امامي كل الأبواب وتعرفت على كثير من المثقفين والاكاديميين والتجار العائدين من السودان وجلست إلى رجل الشارع كثيرا.. وبالفعل وجدت تعاملهم مع الآخرين لطيفاً جداً وفيه حميمية، فهم بالطبع يعرفون قدر الشعوب الأخرى لأنهم كانوا السابقون في الاحتكاك بها، ولذلك لا ينظرون إلى القادم لبلادهم بأنه جاء فقط للبحث وراء المال خاصة وأن الباحث وراء المال في اليمن كمن "يبيع الماء في حارة السقايين" وهناك احاديث فلكلورية كثيرة تشير إلى أن مال صنعاء لصنعاء بمعنى انك مهما كسبت من مال فسوف تصرفه كله في صنعاء لا يخرج منها ولا عنها..

انت في اليمن في سياحة لن تنتهي والاعزاء المدرسين السودانيين هم الشريحة الأولى والاخيرة التي تقدم رسالة مهما كان عائدها المادي أما خلاف ذلك فأنت سائح وفي رحلة سياحية فقط.. الارض من تحت قدميك تتحدث عن إرث تاريخي عظيم تجد نفسك تتجول في شوارع اليمن وقمم جبالها تحكي لك قصص تاريخية ومسارات حضارية ضاربة في عمق التاريخ والجغرافيا .. فالقادم عبر مطار صنعاء في طريقه إلى قلب المدينة يجد لافتة تقول كلماتها :"مرحب بالاحفاد في بلد الاجداد". هكذا يعتبر اليمانيون انهم مرجعية سلالية لكثير من السلالات والقبائل العربية المنتشرة في الوطن العربي وخارجه.. ويحق لهم ان يقولوا ذلك ويتفاخروا به فعلماء السلالات اثبتوا ذلك والانتشار اليماني اثبت ذلك ايضا، وقد مضى زمن طويل لم تشهد فيه الأجيال الحالية في السودان "دكان اليماني الناصية" وقدرة الفول اليمانية في الاحياء". وفي رحلاتي المتكررة الى دول القرن الافريقي قال لي الكثير من التجار في "ماركاتو" اثيوبيا وفي جيبوتي والصومال وممبسا كينيا انهم ورثوا العمل التجارى وتعلموه على أيدي اليمانية الذين كانوا ومازال بعضهم هناك.

وبالـــرغم من أن هجرات عكسية حدثت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى وعاد "ابو يمن" إلى ارضهم إلا أن الهجرات القديمة لازالت تشكل مجتمعات كبيرة في المهاجـــر الآسيوية أما الباءات الحضرمية فما زالت تتربع على قمة الاقتصاد السعودي ونال بعضهم التابعية السعودية.. فأهل حضرموت هم أصحاب رحلة الشتاء والصيف .. والشـــطارة في التجارة وتبدأ أسمائهم بالباء دائما حتى أن من الطرائف أن قيل فيهم أن حضرميا أراد أن يسمى ابنه باحثاً عن باء فاطلق عليه باسم "باعوضة".

والصحافة في اليمن منفتحة كانفتاح مجالس أهلها على اغصان "القات" وأوراقه الخضراء التي تشهد حواراً ونقاشاً ساخناً منفعلاً بكل القضايا من المحيط إلى الخليج ومن وراء الـــبحار وأمامها.. وبعد الوحدة اليمنية انتشرت الصحف باعداد ضخمة تذكرني بـــــ"دكـــان" اليماني..حيث يكون الصحيفة صاحبها واحد والمستفيد منها واحد هو نفسه.. يمارس العمل بعقلية التاجر الصحفى..

وبالرغم من انى وصلت إلى قناعة أن ممارسة الصحافة خارج الوطن قد تجعلك تـــنفعل بقضـــايا لا تخصـــك كثيرا واهتمامات غير اهتماماتك إلا أن اليمانيين أجبرونا بانفتاحهم وثقتهم أن ننفعل بقضاياهم، وكان المداد يترف على الورق وكأننا أصحاب شأن حقيقي وليس من خارج الحدود.. وهذه الأوراق التي احتواها الكتاب تناثرت في أرض بلقيس وكانت ملهمتها وتم نشر معظمها في صحيفة "الاسبوع" التي شاركت في تأسيســـها مع صديقي الاستاذ حسن العديني وبدأ من العدد "صفر" سويا حيثِ تتخذ الأن مقراً لها في احدى العمارات الشاهقة في قلب المدينة صنعاء وعلى شارع يحمل اسم ابو الاحرار والمناضل اليمني الأشهر "الزبيري".

وبالتأكيد كانت هذه الكلمات ترجمة لانفعالات لها علاقة بالموقع المكاني ولذلك اطلقت عليها عنوان "كنت صحافيا في اليمن".

رغــم أن الــيمن بلد القبائل والعصبيات الكثيرة الا الها تتمتع بهوية حضارية واحدة حيث يجمع اليمنيون بشتى انتماءاهم القبلية والمذهبية على هوية حضارية مشتركة هي "الهوية اليمنية" في اطار هوية اوسع واعم هي الهوية العربية الاسلامية .

وإذا كان ابن خلدون قد أكد على "... أن الامكان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء. وأن وراء كل رأى مــنها وهــوى عصبية تمانع دونها، فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقــت، وأن كــانت ذات عصبية لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة".

ولكــن مــن أهم الشواهد والمؤشرات، الحديثة والمعاصرة على الوعي القبلى بوجــود "هويــة يمنية مشتركة": تأييد معظم القبائل لاعادة تحقيق الوحدة اليمنية. فإذا كانت الإرادة السياسية الحاكمة في كلا شطرى اليمن، قد حققت الوحدة اليمنية، فإن غالــبية القبائل قد أيدت إعادة هذه الوحدة و لم تعارضها إضافة الى اتسام كل المؤتمرات القبلية بأبعاد وطنية وقومية، حيث تميز كثير من هذه المؤتمرات بـــ"قبلية الموقع" و"وطنية الأهــداف والمطالب" أيضا رفضت القبائل محاولة إعادة تشطير اليمن الواحد، وتمسكت بــالوحدة اليمــنية، حيــث قام أبرز شيوخ القبائل بهدف احتواء الأزمة السياسية التي تفــاقمت مــنذ (أغسطس ١٩٩٣) وقد طالب شيوخ القبائل اليمنية من طرفى الأزمة "المؤتمــر الشــعبي العــام والحزب الاشتراكي اليمني" ضرورة الاحتكام الى المؤسسات الدستورية، كما حذرت القبائل اليمنية من احتمال قيام حرب "يمنية-يمنية" وعند نشوب الحــرب عام (١٩٩٤م) أعلن بعض زعماء القبائل حيادهم تجاه الحرب وازمة الانفصال اليمنية.

يقـــول صـــديقي الاستاذ عبد البارى طاهر نقيب الصحفيين اليمنيين السابق والمفكـــر البارز ان اليمن تمتلك هذا الجزء القصي الثاوى في الركن الغربي من قارة آسيا وجـــنوب الجزيـــرة العربية تمتلك كنوزاً ثقافية ابداعية لم ينفض عنها التراب كما تمتلك رصـــيداً وإرثـــاً تاريخياً ضخماً شكل ويشكل معلماً من معالم التراث والفكر الإنساني وثروة ثقافية رفدت الرسالات السماوية والفكر البشرى .

وقـــد صـــنع هذا الإرث الضخم تحديات كبيرة : منها هذه البيئة "الشموس" القاســـية والمتحدية فهذه البيئة الضاربة في اعماق التاريخ شهدت تدفق جحافل الغزاة: الـــرومان والفـــرس والاحباش والاتراك بسبب موقعها على الطريق بين الشرق والغرب بحيـــث لا تمـــر قوافل التجارة أو الطامحون والطامعون إلا عبرها منذ فجر التاريخ وحتى بـــزوغ نجم الحملات الاستعمارية منذ القرن السادس عشر : البرتغاليين والفرنسيين في البحر الأحمر والبريطانيين وهم في طريقهم إلى آسيا والهند.

ويقـــول طاهر في كتابه "اليمن الإرث وافق الحرية" : خاض اليمانيون معارك مجيدة ضد الطبيعة الشديدة القسوة والتحدى باقامة السدود والمدرجات والمصانع في قمم الجبال السامقة وشيدوا السفن ليعبروا بها البحار والمحيطات لنقل البخور والتوابل "بترول القرون الاولى" بين المشرق والمغرب، وأسسوا مراكز حضرية في اصقاع الجزيرة العربية تـــأوي إليها القوافل كمرافئ آمنة. كما أقاموا طرائق للحكم تحدث عنها التوراة وأشاد بقوتها وشورويتها القرآن الكريم.

ويعتـــبر المجتمع اليمني أكثر المجتمعات العربية تأثرا بالتحولات الديمقراطية التي ارتبطت بتغير نوعي في طبيعة النظام السياسي اليمني تمثل ذلك بنفى الدولة الشطرية التي اســـتمرت قرابة ثلاثة عقود وما رافقها من شمولي.. ونعنى بذلك أن التحول الى التعددية السياســـية لم يكـــن ليـــأتى إلا في إطار تغيرات داخلية وخارجية بالغة الأهمية أدت في

مجموعهـــا إلى تغير في طبيعة النظام السياسي اقترن بعملية توحد لشطري البلاد في دولة واحدة.

إن تطـــور المجتمع المدني في اليمن يرتبط جدليا بتطور الدولة وكلاهما يرتبطان بعمـــلية التحديث السياسي والاقتصادى والاجتماعي التي يتعرض لها المجتمع اليمني منذ أكثر من ثلاثة عقود.

لقـــد شكل الاستفتاء على دستور الوحدة أهم اختبار عملي لمنظمات المجتمع المـــدني ومدى فعاليتها للدفاع عن الوحدة من خلال انجاح عملية الاستفتاء الشعبي على العقـــد الاجـــتماعي الذي يجسد لأول مرة مطالب الشعب وأهدافه في بناء دولة حديثة ذات إطـــار سياسي تعددى ينظر إلى أفراد المجتمع كمواطنين مدنيين من موافقتهم على نظـــام الدولة ودستورها تكتسب اعلان الوحدة والنخبة الحاكمة شرعيتها. كما شهد المجتمع اليمني أول انتخابات نيابية منذ إعلان الوحدة وهي تعد أول انتخابات تعددية في تاريخه الحديث والمعاصر.

ومـــع إعلان دولة الوحدة وإقرار التعددية السياسية والنص دستوريا بحق كل افراد المجتمع تنظيم انفسهم اجتماعيا وسياسيا وثقافيا ظهرت الى الوجود اعداد كبيرة من مختلف المؤسسات والجمعيات والمراكز والأحزاب كلها تعبر عن رغبة المجتمع تأطير نفسه بعيداً عن مؤسسات الدولة.

محمد عبده محي الدين

الخرطوم يوليو ٢٠٠٢م

وقفة مع الرئيس
في البدء كان صالحاً

إن شخصا مثل الرئيس اليمني على عبد الله صالح لابد ان يكون له – خاصة في عالمنا العربى – كثرة من المعجبين الذين يصفقون له.. انى انظر إليه كعلامة انتصار على الظروف الصعبة منهجاً سياسة بارزوة على طريق الاعتماد على النفس رغم ما أعترض طريقه من العراقيل والتي ما زادته إلا إيمانا بمعركته حتى إنتصر لليمن ووحدته ولاستقراره في عشرين عاما ونيف من العطاء وكان قبل توليه الحكم لا يهنأ رئيس يحكم هذه البلاد ولا يستمر في سدة حكمها.. ورغم المعطيات التي ابحثها دوماً إلا أننى أرى في مسيرة حكمه مهمة صعبة ترتجف منها جبال اليمن ذاقما..

ولا اعتقد ان الرئيس اليمني الذي يتشرف السودان بزيارته هذه الأيام يحتاج لمن يمدحه بقدر ما يحتاج إلى مقولة جق .. فإذا كان عبد الناصر قد ساهم في إخراج اليمن من القرن العاشر.. فإن صالح يدفعها الآن إلى القرن الـ ٢١ وقد عرفت معنى الإستقرار في الحكم.. ودولة المؤسسات لا تأتى من فراغ فيكفى الحاكم ان يكون رشيداً انقذ بلاده من الازمات ويسعى للتعرف على رغبات شعبه.

إن الرئيس صالح لا يبدو لي رئيس دولة أو رئيس حزب حاكم فقط وإنما أجده وكأنه يردد : يكفيني أن أكون ممثلاً غاية وحاملاً لمبدأ، وإن كان لهذا المبدأ انصار كانوا معي وإلا بقيت وحدي.. أليس هذا شعور أصحاب الرسالات حين يحسون بتخاذل صحابتهم ؟

وقد يوحى المناخ الذي تعيشه اليمن الان في ظل ديمقراطية ملائمة لها وحرية خاصة بها ومعارضة ونقد وتعدد احزاب بأنه انسب صور الحكم واكثرها ملائمة للدول

النامية وإذا استثمر هذا قطعاً ستدخل في العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ويكتمل البعد الاجـتماعي والاقتصـادي مـع السياسي فهذا خيراً من أزمة غياب الديمقراطية وخنق المعارضة السياسية.

ولا انسى يوما شهدته كنت ارى فيه شوارع صنعاء قد أصبحت اكثر اتساعا وموكب الرئيس صالح يطويّ الارض في هدوء من المطار في طريقه الى قلب المدينة بعد أن طوى عقوداً من السنوات وأنهى عقده حدودية تاريخية إنفكت بين يديه.

كـان غروب ذلك اليوم يداعبه النسيم واحتضنت "صنعاء".. "جدة" كما لم تحتضـنها مـن قبل ونام الزعيم العربي على تراب وطن تحددت حدوده وهو قرير العين هـنايها.. إن الـرئيس صالح يطيب له المقام في القمة بقدر ما حقق في عهده من خير لبلاده.

فإذا كانت السياسة في النهاية وببساطة تشكل موقفاً وفكراً ومحاولات من أجل ترقيل افضل للمستقبل فإن معاهدة "جدة" الحدودية هي عين السعادة.

إذا كـان البعض يعتقد ان باستطاعته العيش بسلام أيا كان حال جيرانه أو أنه يسـتطيع أن يمضى بخطوات كبيرة في مسار التنمية والعمران والبناء تاركا بعض جيرانه فهو مخطئ تماماً ليس لنقض في رؤيته الاستراتيجية فحسب بل وحتى في رؤيته التكتيكية، فالعـالم اليـوم لم يعد عالم الاوطان الصغيرة ولا الدولة القطرية مهما علا شأنها.. حتى تسـتطيع كل دولة اغلاق أبوابها وتشديد الحراسة على اسوارها لتعيش بنعيمها وأمامها القطرى قائلة لجيرانها ما شأنى وشأنكم إنه عالم التكتلات مهما إختلفت الدول فيما بينها في الرؤى والسياسات. إن تعريف الحدود وترسيخها وتحديدها من اهم القضايا كما أن منازعات الحدود تعد من أهم أسباب التوتر.

قـــد أمتـــلك الرئيس صالح رصيداً في دبلوماسية الحدود ويدرك تماما ان المهمة بطبيعـــتها يجب ان تجرى بعيداً عن الكاميرات والميكرفونات ولابد من قناة خلفية بعيدة عـــن الجهاز البيروقراطي.. لقد خرج الملف اليمني السعودى إلى النور وإنتهي إلى تسوية سلمية وودع اليمن مسألة مزمنة تتعلق بالحدود.

وطالمـــا ظلت قضايا الحدود تتفجر يوماً بعد يوم في المنطقة العربية لا شك أنه أمتـــلك "كاريزما" تصنع له شخصية عربية ضخمة لأن التاريخ لا يمكن أن يكون ثمرة للأمـــاني والأحلام فالأحداث الواقعية وحدها هي التي تؤثر في مجري الحضارة ومصائر الشعوب.

أخـــيراً يجب ان نتذكر عند اختيارنا لزعمائنا أنهم ليسوا مرشحين ليكونوا قديسين ... فـــالعمل السياسي عند ارقي درجاته هو الإستعداد لاستيعاب آمال الناس والقدرة على التعبير عنها والبحث عن الوسائل الممكنة لإدارة البلاد.

مع شيخ الصحافيين اليمنيين

لا أذكـــر مـــن قـــال : يقضي الإنسان سنواته الأولى في تعلم النطق، وتقضي الأنظمـــة العربية بقية عمره في تعليمه الصمت !! ولكن هنالك من الصحافيين والكتاب من يكسرون الصمت ويقضون عمرهم وقوفاً لانهم لا يحسنون الجلوس على المبادئ.

الكتاب عندما يموتون يتركون نكهة حزن اضافية تميزهم عن موت الآخرين.. يتركون على طاولتهم رؤوس أقلام.. رؤوس أحلام.. ومسودات أشياء لم تكتمل.. إن الكاتب لا شيء دون من يلهمه وأنه مدين دائما للشارع من حوله ينبض بنبضه وينفعل بقضـــاياه، وآخرين يتربصون به وحتى وإن فشلوا في اغتياله فهو أصبح في زمن لابد أن يغـــير عناوين نومه ومواعيد قدومه للصحيفة والطرق التي يسلكها للعودة والأماكن التي يرتادها، ولم يغير كل هذا من قدره.. يوصى أبناءه ألا يفضحوا المهنة التي يتعاطاها.. هو الذي لا يعرف ماذا يفعل بيديه سوى كتاباته الصغيرة..

صـــالح الدحـــان ذلك الصحافي والكاتب المبدع، الذي كسر الصمت وعشق الحـــرية كـــلها، ولم يكن مغروراً يوماً.. كان يوم تكريمه في التاسع من يونيو الجارى، احتضـــنته دار نقابـــة الصحفيين وصادف يوم الصحافة اليمنية، حيث تابع الحاضرون رســـالته ولسان حالهم يقول له، كن مغروراً يا صاحبى لكي لا تكون محقوراً، فنحن لا نمـــلك الخيـــار يا صاحبى.. اننا ننتمي الى أوطان لا تحترم مبدعيها.. وإذا فقدنا غرورنا وكبرياءنا ستدوسنا اقدام الأميين والجهلة!!

"الاســـبوع" تحـــتفى بالـــتكريم وتقف ممتنة في ذلك اليوم، فالدحان سكب مداده على صفحاتها وفض بكارتها وهي تتحسس طريقها في الحياة وتعشق قلمه حتى الثمالة..

نقيب الصحفيين الزميل محبوب على الذي تتلمذ على يديه عندما اختاره للعمل معه في صحيفة "الشرارة" وهي أول صحيفة يمنية مسائية صدرت في عدن عام ١٩٧٢م تحت إدارته، قال في يوم التكريم : يقف بين ظهرانينا اليوم قطب لامع، وقامة صحفية مرموقة، رائد من رواد الصحافة اليمنية، واحد ابرز مؤسسيها منذ الخمسينيات من القرن الماضي، وإذا كان صالح الدحان من مدرسة عبد الله باذيب، فإنني اعتز ايما اعتزاز بأنني من مدرسة صالح دحان.. وإن تكريم شيخ الصحفيين اليمنيين هو تكريم للرعيل الاول من رواد الصحافة اليمنية.

ويزين احتفالنا اليوم رمز هذه الاجيال الصحفية المتعاقبة الذي نذر جل عمره لهذه المهنة وفيا زاهداً مثلما زين بقلمه صفحات من التاريخ لا تنسى، ولا ينبغي علينا أن نغض الطرف عنها أو نحيلها إلى التقاعد كما أحيل صاحبها صانع التراث العريق في بلاط صاحبة الجلالة..

كانت رسالة صالح الدحان التي القاها يوم التكريم لوحة مبدع بديع اهتزت لها النفوس قائلا : أنا العجوز العاجز الذي ينتظر أجله المحتوم هاشاً باشاً غير آبه بالآجل الدنيوي الذي قد يفرضه سادة هذه الدنيا الفانية ممن اسكرتهم خمرة السلطة وتسلط فدخلوا جنتهم وهم على وهمهم من أنها لن تبيد أبداً.

وقال الدحان في رسالته لحشد الصحفيين والإعلاميين والمبدعين : أنني قررت ان الصحفي اليمني لم يكن قط ولن يكون أبداً نبتاً شيطانياً.. "انظر نص الكلمة".

درع نقابة الصحفيين الذي منحته إياه كان رمز التكريم، إضافة إلى هدايا وورود من وزارة الإعلام، ولكن الدحان شده الحضور وطلب حصراً لأسمائهم حتى يشكرهم فرداً فرداً سواء بالكتابة اليهم أو بمشافهتهم .

ورد الدحـــان شيكاً باسم النقابة بإيثاره المعروف قائلا : إن النقابة لا تزال لها ديون في عنقي، ولو أنه كان من الوزارة كنت تقبلته لأنها ما يزال في عنقها دين لي..

وأنتهي يوم التكريم، ولكن ظلت كلمات الدحان الأخيرة يعلو صداها ويرددها الصحافيون: "لا يبدو لي أنه ليس من حقنا جميعا التطلع الى العلاء والاستشراف لمستقبل واعــد بــالخير والنماء والأزدهار للإبداع الصحافي في بلادنا كماً وكيفاً، إلا إذا ظلت صحافة اليمن مسدساً دون ذخيرة.

رسالة الشيخ الأستاذ

يا أهلي

يا إربتي

يا زملائي..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما وقد وقعت الواقعة ..

اما وقد تورطت نقابتنا هذه في مثل هذه البدعة البادعة،

وزادت فكرتها معي اليوم..

اما وقد اصر الاحباب الاخيار من الزملاء على ضرورة حضوري والقاء كلمة

امـــا وقد شاء كل الذين رادوا هذا الحفل الكريم، وشاءت معه قدرة الله العلى العظيم الا احضره وحسب، وانما ان يكون ايضا لتكريم محسوبكم صالح عبده الدحان.. الواقف امامكم.. الخجول من جبه نواظركم..

اما وقد حلت لعنة التكريم على الشاكلة التي اتيت على ذكرها، فلا مندوحة لي – انـــا العجـــوز العاجز الذي ينتظر اجله المحتوم من الله العلى القدير سيد الدنيا ومولى الآخـــرة، هاشـــا وباشا به منذ الحين والساعة، غير آبه بالأجل الدنئ الدنيوي الذي قد يفرضه سادة هذه الدنيا الفانية ممن اسكرهم خمرة السلطة والتسلط فدخلوا جنتهم وهم على وهمهم من انها لن تبيد ابدا. انهم لم يظلموا سوى أنفسهم، وندعو الله ان يغفر لهم و ان يرشدهم الى سواء السبيل.

اما وقد وقعت الواقعة وشاء الولد النبيل الحبيب الاستاذ محبوب على – نقيب الصحافيين اليمانيين ونائب رئيس اتحاد الصحافيين العرب وثاني المنتمين – بعدي – لمنظمة الصحافيين العالمية بل مديرها الاقليمي ..

اقول :

اما وقد شاء محبوب على ومعه الكوكبة اللامعة من الساجين في فلك الصحافة اليمانية ونقابتها، ان يقيموا هذا الحفل لتكريم محسوبكم صالح الدحان لكى يقيموا من خلال وقائعه ما اضطرته اليه صروف الدهر ونوائب الأيام، سواء من الاقتراف الدائم لهذا الخطأ الصحافي وذاك ، او في الاقتراح النادر لهذا الانجاز او ذاك في نفس المهمة والمجال.

فماذا لدى غير الشكر والعرفان بهذه المأثرة معللا بقولة سيدنا المتنبئ (لا خيل عندك تهديها ولا مال).

ولكن وفي نفس الصدد تحضرني ايضا مقولة للزعيم الصيني العظيم "ماوتسى تونغ" وجهها للاجيال الصاعدة من ابناء الصين غداة انتصار الثورة في العام ١٩٤٩م ومفادها كالتالي :

(العالم عالمكم كما أنه عالمنا ، لكنكم يا معشر الشباب تظلون شمس الضحى ابدا بالنسبة لنا.. نحن الشمس الغاربة).

وهكذا هو الحال بي وأنا أرى زمر اليمانيين في مختلف مجالات الخلق والإبداع، سواء كان في الآداب والفنون، أو في وسائط الأعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز، وهي تنسج باللحمة والسداة ثوب الغد الزاهي الذي سيرتديه جيل يتمخض عنكم، وكذا زريبة ملونة ستسير عليها قوافل الصحافة والصحافيين اليمانيين من بعدنا وكذا من بعدكم.

إذ أرى كل هذا ماثلا أمامي ومتمثلاً فيكم وعلى رأسكم قيادة الإعلام الشابة الجيدة، كما يجسدها الأخ والزميل الأعز وزير الأعلام الأستاذ حسين العواضى، إذ ارى كل هذا لا اجد من بين كل هذا الحشد من يماريني ان انا قررت بان الصحافى اليمني لم يكن قط ولن يكون أبداً نبتا شيطانياً، ولكنه كان وما يزال ويجب ان يظل تلك الطولقة التي تصمد في وجه كل رياح الحاجة والاملاق ، وكذا القهر والاستلاب.

ان كل صحافى يمانٍ هو دوحة يستظل تحتها ويتفيأ في جوانبها كل مناضل يمني وعــربي وعــالمى، وذلــك من هجير الظلم والاستبداد والعوز، ومن حرائق الاستلاب والضغط والإيذاء بكافة انواعه واشكاله وكذا عناصر صنعه.

لــتكن بدايــة القــرن بدايــة لتحرر الإنسانِ من قيود الحاجة، وما الصحافى والإعلامــي والمــبدع إلا ذلــك الانسان الذي هو الاحق والاولى بالانطلاق من إسار ومعوقــات الحاجــة نحــو رحاب الحرية والانطلاق، لأنه الرائد وحامل النبراس وقائد الجمــاهير ولذلك فهو الاحق بالتحرر كي يتمكن من تحرير الاخرين لاحقا ولنا ان، لا بل علينا ان نعول من الآن على قيادتنا السياسية بزعامة الاخ الرئيس القائد على عبد الله صالح، ان تولي "سيدة اليمن الأولى" وأسمها المنسي و"الثقافة الوطنية" كل عناية ورعاية واعتــبار، حــتى لا يقال ان اليمن الواحد الموحد بلا ثقافة وبلا أدب.. وحتى لا يكون المثقف والأديب والإعلامي والصحافى والفنان فيها ملوقاً دوشاناً لا قؤولا فعولاً.. وحتى لا يكون المبدع اليماني في رحابها يعيش ولا يحيا.

"عمره ليل من السهد وفجر من عذاب"

ولا ازيد غلا بما سأختتم

فأقول :

دعوني:

اولا ان اشكركم على حضور هذا الحفل التحضيري للأجل الاخير المحتوم لمحسوبكم كي تكرموني فيه قبل ملاقاتي للرفيق الاعلى.

وثانيا ان ادعوكم للترحم على روادنا وابائنا واساتذتنا الاوائل الذين علمونا وربونا على حب الصحف والصحافة، بدءاً من احمد عبد الوهاب الوريث، مروراً بمحمد على لقمان المحـــامي ومن عاصره واولاده، ثم بعبدالله عبد الرزاق باذيب واحمد عوض باوزير ومحمد ســـالم على واحمد شريف الرفاعي وعبد الرحمن جرجرة ومحمد على باشراحيل، ومعهم محمـــد احمد لقمان ومحمد سالم باسندوة وعبد الله الاصنج وابراهيم راسم وعبد الله عبد الوهاب نعمان (الفضول) وشوقى لقمان، وغيرهم من المؤلفين والمؤسسين والكتاب من إبراهيم الى موسى المذكورين في الصحف الاولى.

وفي يوم الصحافة العالمى هذا التاسع من يونيو حزيران في هذا العام الاول من القـــرن الحـــادى والعشـــرين، لا يـــبدو لي انه ليس من حقنا جميعا التطلع الى العلاء والاستشـــراق لمستقبل وأعد بالخير والنماء والازدهار للابداع الصحافي في بلادنا كماً وكيفاً إلا إذا ظلت صحافة اليمن مسدساً دون ذخيرة والامر لكم وبأيديكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ما بين الصحافة والرقابة

أشـــعر بفرحة مزدوجة بعودتي وعودة "الأيام"..اكاد لا اصدق انني سأكتب فيها ثانية فهي مدرستي الاولى بعد الانطلاقة من (سونا)..وأرقني السؤال التقليدي : لماذا تتوقف الصحف أياماً او سنوات ؟ وجاءني صوت "معين" على سحابة كتبت : تسقط الرقابة ..فصادروا السماء !! وذكـــرت زميـــلاً صحفياً كان متحمسا لشيخه الترابي قائلا : لقد كانت مقالاتك في العام ١٩٩٧م حـــول الشـــيخ قـــراءة للمستقبل ولكننا لم نصبر عليك..قلت: ليتهم يصبرون على الصـــحافة والصحفيين..بالمناسبة جيئت اشارك في المؤتمر الرابع للمغتربين وشهدت أكبر عملية شروع في الاغتراب في أوساط الصحفيين السودانيين عندما قدموا بالمئات لعرض قدمته صحيفة "الوحدة" الاماراتية..وأقول عن تجربة وبالصوت العالي ان مهنة الصحافة غير قابلة للاغتراب فما معـــنى ان يـــنفعل الصحفى بقضايا غير قضايا وطنه؟ فإذا كان الجندى يحرس التراب بالبندقية فالصحفى يحرسها بالكلمات ولكن ظروف المهنة الطاردة وان تحملها على مضض يضاف اليها انـــه اصـــبح وسط اناس عندما يأتى الحديث عن الصحفى يقول البعض انه ان وجد فرصة في الحرية يقول قولا خطيرا..واصبح اشبه برجل محكوم عليه بالاعدام يقال له في لحظته الاخيرة هل لديـــك رغبات قبل ان تموت ؟ فما الذي تنتظرونه من رجل هذا حاله؟ فما الذي تنتظرونه من رجـــل كـــلما فتح فمه للكلام قلتم له: إنما انت عبد احساننا منحناك الحرية فاستخدمها على النحو الذي نرسمه لك.

مـــا من سبيل في العالم لان يتفادى الصحفى انتقاد التجاوزات وان يتفادى الحقيقة ان خطـــر بباله ان يكتب تقريراً صادقا وهادفاً عما خبره بنفسه..ان الصحفى ومهما كان ماضيه طويـــلا في الدفـــاع عن القضايا الانسانية يغرق بفيض من الكراهية وبتهم إذا تجرأ وتحدث عن حقائق.

ان انقـــاذ حـــرية الكلام من الخطر يتطلب واقعية وانتباها والتزاما منا جميعا..إذا افلح الـــبعض في كبح حرية التعبير حول موضوع معين فلابد ان يغرى ذلك جماعات اخرى بمحاولة الشـــيء نفسه دعما لقضاياها المفضلة..وإذا تم ارغام صحفى على السكوت الشائن عن نقطة حيويـــة في السياســـة العامة فان اعضاء اخرى في الجسم السياسي يمكن ان تشل بالطريقة ذاتها وباختصـــار إذا تمكـــن البعض من خنق حرية الكلام في موضوع مثير للجدل فان حرية الكلام كلها تصبح مهددة.

انني كصحفى لا احتمل الترويع مهما كان ورغم انف الرقابة تبقى الحقيقة الماثلة لكل صـــحفى في العالم هي ان السبيل الوحيد لحل قضايا أي بلد هو التحدث عنها..كنا نشتغل وما نـــزال في الصحافة وسط سيوف الرقابة .. فتعودنا الحذر والدقة في الحركة كما يتعود اللاعب المـــدرب ان يقفـــز عـــلى الســـلك الـــرقيق اسرع من قفز عابر الطريق على جادة الطريق.. فالصحافيون بعيدا عن الرقابة الإدارية فهم يفرضون على انفسهم الرقابة الذاتية.. ولذلك خير ما تفعله الحكومات لنفسها وللأمم التي تحكمها "أن تكون مع الصحافة في غاية التسامح فلا تقف في طريقها لان في ذلك وقوفا في طريق حرية الرأى العام ومصادرة لاعتقاده لا يأتى الا بنتيجة عكسية لان الصحفى بطبيعته عنيد تزيده طرائق العنف تشبثا بمعتقده وتشعل مصادره الحرية في صـــدره لهب الحرية المتوقد وضوءها الساطع وسرعان ما يتسرب اليه سوء الظن بالحكومة التي

تـــريده ان يقلل من حدته مهما حسنت نيتها وارادت له الخير وخافت عليه من الوقوع في شر نفســـه. كانت معظم قوانين الصحافة والمطبوعات في عالمنا الثالث تقول ان انذار الصحف او وقفها أو إلغاءها بالطريق الإدارى محظور الا اذا كان ذلك ضرورياً لوقاية النظام الاجتماعى.. ولكـــن هـــذه العبارة الاخيرة خطيرة قد سلبت الصحافة حريتها لأن محاسبة الصحف بالطرق الإداريـــة انمـــا هو قضاء على الصحافة وحريتها لا سيما إذا استخدم في هذا السبيل نص مبهم غـــامض مرن لا حدود له ولا قيود إذ أن وقاية النظام الاجتماعي يمكن تطبيقها على كثير من الأمور.

ان تدخل الإدارة في شؤون الصحف لاسيما في ما يتعلق بحياتها او موتها انما هو تدخل سيء المغبة يطعن الحرية طعنا قاتلا مهما كانت الأسباب الداعية لهذا التدخل لأنه تدخل لا مبرر له..فحرية الصحافة تحتم ان يكون حساب الصحفى من حق القضاء وحده..اما الطريق الإدارى او الـــوزارى او مجالس الصحافة والمطبوعات فإنه طريق استبدادى محض ولا يمكن التخلص من أخطائـــه الفظيعـــة ولا من شهواته السياسية ولا من أغراضه الانتقامية.. ان عقوبة التعطيل أو الإلغـــاء مهما تكن الجريمة عقوبة مخالفة لروح الدساتير ونصوصها.. ذلك أن صناعة الصحافة وامتهانها ليس جريمة بذاتها كتزييف النقود او تهريب الممنوعات او احراز المخدرات او فتح اندية القمار حتى يجوز تعطيلها كصناعة او مصادرة ما يستعمل فيها من الادوات والاموال..بل هي صـــناعة مـــن أشـــرف الصـــناعات ومن أعظمها خدمة للمجتمع فلا ينبغى ان تعامل معاملة الصـــناعات الممقوتة المحرمة.. وهل تصادر المنابر أو تغلق المساجد او تعطل المدارس لأن خطيبا أساء استعمال المنبر ؟ أو مؤذنا نادى بغير الصلاة أو مدرساً ارتكب في مدرسته او جامعته أمراً يحـــرمه القـــانون ؟؟ عقوبـــة تعطيل الصحف أو إلغائها منافية أشد المنافاة لحقوق الانسان ، فالصـــحفى من الشرائح الضعيفة وهو الأكثر فقراً فكيف يكون الحال عندما تتعطل الصحف

وتغلق ابوابها لهفوة هنا أو هناك؟.. ان عمل الخير يبدأ بالحقيقة..والحقيقة تعبر عنها الكلمة ... فلنـــترك الصحفى لحاله وفقره وماله.. فهو يستمتع بميلاد كل عدد جديد ..وعلى الصحفى ان تقـــوده ثقافته الى ان تعبير الحرية مرهون بمساحته حتى لا ينتج فوضى او يستحيل الى العدم او التهريج او الكلام الذي لا طائل من ورائه. وعوداً حميداً لـــ"الأيام" بالمحجوبين ولطيف .

بعد أوراق اعتماده ..أوراق أخرى ..!!

أن الديبلوماسية العربية – العربية تواصل والتصاق وسط شعوب يجمعها الكثير بينما الدبلوماسية العربية وراء البحار حوار متواصل لم يكن حوار ديبلوماسيات انما صراع ارادات الى آخر المدى..وقديما قال لي سفير غربى من اعز الاصدقاء عمل طويلا في عواصم عربية :"اشعر دوما ان القومية العربية فيضان يتدفق بقوة، واننا لا نستطيع ان نقاومه وانما نستطيع فقط ان نضع بعض "شكاير" الرمل حول المواقع التي ننوى الدفاع عنها..".

خلال هذا الشهر الذي يمضى الى نهايته قدم السفير السوداني الجديد اوراق اعتماده للرئيس على عبد الله صالح..وبعيداً عن البروتوكولات التي لا نتقيد بها نحن معشر "الصحفيين" اتيح لي ان اتعرف على محمد السنوسى احمد عن قرب فوجدته يجسد الشخصية السودانية ومن الذين يجذبونك بالدفء والحرارة إلى دائرة شخصيتهم الإنسانية.. وقبل هذا وذاك جاء الرجل الى صنعاء بروح وفاقية استمدها من الروح الكبرى السارية في الخرطوم الان ..انها الروح التي نذرنا انفسنا واقلامنا لها ولن نستطيع العيش بدونها..فقد كنت في السابق اشفق على الديبلوماسى السوداني في محطة كانت ساخنة..ولكنها الان بردت برودا يصب في مجرى الوفاق والنظرة المنطقية للاشياء بعيداً عن التعصب والفجور.

جاء الرجل ليحرك احداثا ويعاصر اخرى فانعقدت اللجنة الوزارية اليمنية السودانية في الخرطوم، مفتتحا بها نشاطه الديبلوماسى، وشهد أول انتخابات رئاسية مباشرة في اليمن. وقد رصدت اوراقاً اتكا عليها في مطبوعة السفارة تعبر عن علانية

الحب لهذا البلد الطيب أهله..ولعل العلانية في التصرف والحركة والعمل قدر مكتوب له بمرجعيته المعروفة التي يحيطها الضبط والربط..

يقـــول السنوسى السفير : كانت اشواقاً رؤية ارض ابن ذى يزن وسرعان ما صـــارت تأملات حلقت بى في سموات الخيال الخصب فرسمت عدة لوحات صرت ارى عـــبرها الكـــثير وانفـــذ من خلالها للمثير. هل حقا سارى مهد الحضارات ؟ هل فعلا ساشاهد ارض البطولات ؟ ورغما عن كل شيء كانت الاجابة لست ادرى ؟؟ وتحقق الحلم وتعانقت كل الخيوط حينما زف النبأ وكانت بحق وكأنها قبول دعاء ليلة وترية من العشر الأواخر من المعظم ..فكان الوصول الى صنعاء بعد طول انتظار ..

وبدأ الدرس الاول من كتاب العلاقات والصلات السودانية – اليمنية من المهد الى الغد المأمول ، فنحن دم ورحم، ولا عاش من يفصلنا.. ويواصل سفير الخرطوم لدى صنعاء اثناء اجتماعات اللجنة اليمنية السودانية : استمر معى الاحساس بأننى بين صنعاء والخـــرطوم فـــلم يكن هناك خروج حسى مطلق من صنعاء كما لم يكن هناك وصول معـــنوى كامل للخرطوم .. وانا بين هذا وذاك بدأ انعقاد اللجنة الوزارية العليا المشتركة واستمر وكان ختامه مسك..

وفي غمرة فرحته بتصدير البترول السوداني وهو في صنعاء، كانت الانتخابات الرئاســـية التي شهدها في اليمن محل اهتمامه، فقال : لنقف قليلا في هذه الاتكاءة اليوم ونحيي عبرها الاشقاء في اليمن السعيد بالولاية الاولى في العهد الديمقراطي للرئيس المشير عـــلى عبد الله صالح، والتي تزامنت مع الذكرى السابعة والثلاثين لثورة سبتمبر الخالدة والتي مازالت مبادئها الستة تزين صدر الصحف اليومية والاسبوعية. وهو يدل على عمق الادراك بقضايا الوطن والمصير. ونحن قد عايشنا احداث الانتخابات فانه لفخر للجميع ان تكـــون تـــلك النســـبة الكـــبيرة من المشاركة هي الطوق الذي يزين جيد التجربة

الديمقـــراطية المباشـــرة الاولى، لتكون المثال المثالي لكل حادب ولكل راغب ، ولتعطى رسالة واضحة للعالم..وهكذا بدأ حصته في الغرس المطلوب.

وقفة مع الوحدة اليمنية

في الـثانية عشـرة .. منتصف يوم (الثلاثاء) ٢٢ مايو ١٩٩٠م، ارتفع علم الوحـدة بألوانـه الـثلاثة : الأحمر والأبيض والأسود ، على أرض اليمن الممتدة شمالاً وجـنوباً، معلناً انتهاء ٣٠٠ عام من التشطير. فالذي يعرف اليمن من السهل ان يدرك قـيمة الوحدة، وانها كانت ستتم لا محالة..عام الوحدة امتلأ بالأحداث الكثيرة المثيرة ولكن اهمها ذلك الحدث الذي اصبح عيداً وطنياً لليمن تحتفل به كل سنة.

ولا تكـاد توجـد لغة حية من لغات العالم إلا وقد تمت ترجمة ذلك الحديث الكبير إليها.. ولعل هذه الرحلة تكشف لنا في آخر الامر صفحات من جهود البشر في العقد الأخير من القرن العشرين من أجل الوصول الى صناعة حدث سعيد.. والانسان في هـذه الجهـود يصيب مرة ويخطئ مرات، والحياة مع ذلك كله تمضى.. ولحظة الفرح اليمانية كانت مطلوبة.. حتى وإن لم تتحقق بصورتها الكاملة في جيل من الاجيال، وما أجمـل الـتاريخ عندما يسجل افعال بعض بنى البشر، ويحتضن ما يفعلون من اجل مبدأ عظيم او مصلحة عامة تحقق الخير للناس.. فقد كانوا صادقين كل الصدق في ما اعلنوه يومهـا.. ويحدثنا التاريخ بكثير من التفصيل عن الذين تركوا اثراً لمواطنيهم وأوطانهم.. وحتى لو تحقق بعض النجاح ، فإنه غالي الثمن.

على صفحات (الاسبوع) ..الصحيفة التي شهدت ميلادها مع صديقي الاستاذ حسـن العديني، بدأت هذه الخطوات مع الوحدة حتى وصلت الحلقة الرابعة والأخيرة، وأرجـو أن أكون قد سودت المساحة الكبيرة التي خصنى بها، بما ينفع الناس..فالصحفى — حـتى وإن كـان أحـد شهود الحدث الذي يكتب عنه — يستطيع ان يقدم شهادة

تاريخيـــه، ولكـــن الشهادة التاريخية ليست تاريخا، وانما هي – إذا صدقت– تصلح لأن تكون (مادة تاريخية) أي عنصر من العناصر وزاوية من زوايا النظر حين يكتب التاريخ.

وتجدني اتفق مع الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل وهو يقول :"الصحفى ليس في مقدوره ان يكتب التاريخ، فتلك مهمة أكبر من طاقته، وأوسع من أي تحقيق يقوم به في حـــدث بذاته، ولعلها أبعد من عمر أي إنسان فرد، ثم إنها أعقد من ان تحتويها دفتا كـــتاب واحـــد.. وإن الذيـــن يعيشون الحوادث هم في غالب الاحيان آخر من يصلح لتاريخها، ذلك لأن معايشتهم للحوادث تعطيهم على الرغم منهم دوراً، والدور لا يقوم إلا على موقف، والموقف بالطبيعة اقتناع، والاقتناع بالضرورة رأى، والرأى في جوهره اخـــتيار، والاخـــتيار بدوره انحياز، والانحياز تناقض مع الحياد، وهو المطلوب الأول في الحكـــم التاريخي". فعلى القارئ أن يسمى ما شاء خطواتي هذه مع الوحدة.. فالحديث مازال حياً في الاذهان.

ديلوماسية الحدود :

تعتـــبر العوامل الجغرافية والجيوبولوتيكية من اهم العوامل المؤثرة سلباً وايجاباً عـــلى علاقـــات الدول بعضها ببعض، كما انها تؤثر مباشرة في صياغة وتشكيل طبيعة السياسة الخارجية للبلد المعين، ان الوضع الجغرافي لبلد ما يحدد اهميته ودوره الاقتصادى والتجاري والاستراتيجي اقليمياً ودولياً.. في هذا الإطار ذاعت نظريات كثيرة اعتمدت على اهمية الموقع الجغرافي وبعده السياسي والأمني في تفسير العلاقات الخارجية.

ولابـــد مـــن الإشارة هنا إلى أن من العوامل الجغرافية التي مازالت تلعب دوراً أساســـياً في الـــتأثير عـــلى العلاقات الخارجية للدول المتجاورة جغرافياً، عامل الحدود السياســـية المشـــتركة التي فجرت ومازالت تفجر المشاكل السياسية والأمنية، وستظل

الحـــدود مفجـــرة لعوامل الصراع والتنافر بين الجيران، ومعوقاً للبنيان الداخلى والتنمية المنشودة.

دولة الوحدة الوليدة، بالرغم من انها ورثت مشاكل حدودية، إلا أنها اصبحت صـــاحبة سوابق في الوصول الى تسوية سلمية حدودية، وسلوك حضارى لفت الانتباه دوليـــا.. فالترسيم الذي تم مع سلطة عمان، والتسوية الحدودية التي توصلا اليها كانت ســـابقة حضـــارية، جاءت من بعدها قضية الجزر وحنيش الكبرى مع اريتريا، وقدمت الدبلوماســـية اليمنية ايضا نموذجا جديراً بالاحترام والاقتداء، أعطاها وضعاً متميزاً بين الاقطـــار العـــربية ، خاصـــة في أســـلوب التعاطى مع الأزمة، والامتناع عن التصعيد العسكرى، وقبول التحكيم الدولي..

وعلى نفس المنوال ، يمكن أن يخرج الملف السعودى - اليمني الى النور، وينتهي الى تســـوية ســـلمية تحفظ لكل ذى حق حقه.. وبإغلاقه سينصرف اليمن الموحد الى قضاياه الداخلية، وتنمية اراضيه التي ابتعدت عن الصراع، ويخرج ما في جوفها المكتشف مـــنه والمؤجـــل لرفاهية مواطنيه.. فالدولة اليمنية بعد عقد من السنوات، يواجهها تحد اقتصادى كبير. ولكن الاقتصاد علم غير عاطفي، ولهذا فلا سبيل لمعالجة أمره بالشعارات الرومانســـية.. والاقتصاد حساب، والحساب علم عد وحصر.. ولذلك يجب الا ننبرى لمعالجـــة قضـــايا الوحـــدة الاقتصـــادية بنفس الأسلوب الذي نتناول به أمور السياسة والقـــانون.. ويمكن القول بأن جهداً إنشائياً كبيراً قد تم في العشر سنوات، بحسبان ان الإنشـــاء ليس هو التنمية.. فالتنمية لها ابعاد اجتماعية ترتكز في المقام الأول على بسط العدالة الاجتماعية، والقضاء على أوجه الاستغلال.. ولكن بالطبع تحقق جهداً إنشائيا لا يخفى على ناظر.

تجارب ونماذج :

إن عشر سنوات من عمر الوحدة قد أتاحت فرصة المشاركة لقوى عديدة متنافرة ومتصالحة.. كما ان جيلاً جديداً قد نشأ في ظل دولة الوحدة، واكتسب مفاهيم جديدة لم تكن تعرفها لغة الخطاب السياسي عند هذا الجيل – بل رؤيته للحياة والأحياء – لم تعد بحال هي رؤية القدامي.. ودولة الوحدة تدخل عقدها الثاني، تدرك أن حل مشاكل اليمن لا يمكن ان يتحقق عبر (اجندة) كل حزب بمفرده، وإنما بالتواصل بالآراء والبرامج، بدلاً من الاندفاع في دوامة السياسة اليومية التي تحتقر الذاكرة الجماعية للشعوب، وتدخل الدولة الوليدة في تيه جيد.

ولا يفجعنا أن يكون هذا هو حال المجتمع اليمني.. فالتقليدية مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي ، تمر بها كل الشعوب، وهي مرحلة لا تلغيها النوايا ولا تبطلها الامنيات، كما لا نعجب ان كان بعضهم ما يزال يتعزى بعصبيته على المستوى الاجتماعي، فهذا أمر ضروري لسلامة الفرد وسلام المجموعة. وليست كل القيم التقليدية امراً غير مرغوب.. ولن تفقد الاجيال القادمة الفرصة في إعادة صياغة الراهن على نمط جديد، والغوص في الراهن لاستكشاف جذوره وتبيان تناقضه الداخلى مع الرؤية الجديدة.. والذين يتعالون على مجتمعاتهم من السياسيين والمثقفين ، يتسببون – قطعاً – في ارتجاج اجتماعي، ويجعلون المجتمع مغلقاً يكرر ذاته، لا مجتمعاً منفتحاً يسعى لاكتشاف آفاق جديدة، فالأحزاب مدارس ودور تثقيف ، قبل ان تكون (بقالات سياسية) تبيع الكلام.. فمتى نجد سياسياً في الوطن العربى يقتطع ساعة من وقته ليسهم بها في عون وتوجيه من ينتمي إليهم بالفكر والوجدان، وهم يصارعون الواقع في حدود ما يعرفون وما يقدرون عليه ؟!!

بعيـــداً عن لغة السياسة .. حدثني البعض بفطرته ومعلوماته العامة، عن تجارب حكـــم محـــلى معاصرة، فقالوا: مهما كان الحديث عن قانون الحكم المحلى او السلطة المحـــلية، إلا أن دولـــة الوحدة تنتظرها تجربة هامة، ويمكن تجويدها مستقبلاً، لان هذا سيســـاعد عـــلى تقـــليص الظل الإداري للسلطة المركزية، ويؤدى الى تكامل الجهدين الوظيفـــي والشـــعبي في أجهـــزة الحكم المحلي، ومشاركة شعبية في صنع القرار في كل القضـــايا التي تهم الناس، وعلى كل مستويات الحكم المحلي.. ومثل هذا التصور للسلطة المحـــلية يتطـــلب بطـــبعه نقلة نوعية لذلك الحكم، من إدارة خدمية، إلى مولد للتنمية الاجـــتماعية. والسلطة المحلية يمكن أن تخلق الظروف الملائمة لإحداث تغيير جذرى في مواقـــع الســـلطة، يخلق قيادات مدنية بعيدة عن التقليدية، وتولد مناخا صحيا لانصهار النعرات القبلية والمناطقية.. ويجب ان يتسع الحكم المحلي بحيث لا يقتصر على الخدمات، وبحيث يصبح المصدر الأول لإحداث التغيير الاجتماعي والاقتصادى.

وأقول – والحديث كان تحت تأثير (الورق الأخضر) – إذا كانت سياسة الفقر لا تعـــالج إلا بسياسات هيكلة الاقتصاد كله – كما يقول الاقتصاديون – فإن الإدارة الحســـنة للموارد الطبيعية لن تتم إلا باعادة هيكلة المؤسسات الإدارية بصورة تتيح لكل الناس المشاركة في إتخاذ القرار، وأفضل إدارة دوما، هي تلك التي تتخذ فيها القرارات في أدني المستويات.

سفراء وقت الحدث :

كـــان يـــوم الحـــدث.. حديـــث سفراء احتضنتهم صنعاء، فوجدوا تمثيلهم الديبلوماســـي قد امتد حتى عدن.. فقال الشاذلى زوكار – سفير تونس :"احس بأنى أقف مع أبناء اليمن على ركيزة تاريخية من الركائز الهامة التي عشتها، وأن ما ينجزه أبناء

اليمن يحقق آمالاً عريضة تخامر كل عربي..." وقال سيف بن مكتوم المنصوري – سفير دولة الامارات العربية المتحدة :"ليس سهلاً ان يتخلى الإنسان العربي المعروف بتمسكه بالكرسي، وهـذا ما يؤكد أن الاهداف العليا تعلو فوق كل هدف آخر..".. وقال إبراهيم الموسى – سفير الكويت :"كانت لبلادى جهود متواضعة في عملية الوحدة اليمنية، ولذلك يسعدنا أن نرى الحلم تحقق.." .. وقال عساس حسنون – سفير سوريا :"هي عودة اليمن الى طبيعته، وهي ارتقاء وانتقال نوعي من حال حسن إلى حال له ما بعده..".. وقال أمين يسري – سفير مصر:"إنها استكمال لمجد الشهداء الذين ناضلوا لذات الهدف النبيل .." وقال أبوبكر بنونة – سفير المغرب :"إن تواجدى في صنعاء في هذا الظرف بالذات، ساهم في إثراء رصيدي في التواجد خلال تحطيم الحدود الوهمية..".. وقال ميلاد الفقيه – سفير ليبيا:"الوحدة اليمنية قدمت الحجة الدامغة لإمكانية تحقيق الوحدة العربية الشاملة.." وقال على القفيدي – سفير السعودية .."انها وحدة شعب واحد، وتشكل علامة مضيئة في التاريخ العربي الحديث..".وقال محمد القرعان – سفير الاردن :"انها ليست حدثاً عادياً، إذ تعتبر تصحيحاً لمسار التاريخ..".وقال عبد الحسين الرفيعي- سفير العراق:"هذا السيل الذي بلغ الزبي يقتحم كل الظنون والاهواء،لقد بدأ زمن النهوض، فبوابة التاريخ تدق بعنف ..".. وقال يحي رباح – سفير دولة فلسطين:"الوحدة ستعطي مزيداً من دفق القدرة والتجدد لأمتنا العربية. وقد تشرفت بأنني كنت أول سفير فلسطيني لدي الجمهورية اليمنية الفتية.

الصحافة وجدت حدثاً :

- عاشت اليمن أمس يوماً تاريخياً باعلان الدولة الموحدة.. من هنا انطلقت الصحافة العربية ووكالات الأنباء وقنوات التلفزة، وصاحبتها الترجمة الفورية لكل لغات

العالم، الى ما وراء البحار، ابتهاجاً بالحدث.. وتدفقت الحروف على الصفحات لتقول : سجل العربي اليوم صفحة مجيدة بإعلان توحيد شطري اليمن.. والشعب العربي من المحيط الى الخليج سيشارك الشعب اليمني بفرحته بهذه المناسبة.. واستقبلت الجماهير العربية إعلان ولادة الوحدة اليمنية بفرحة عارمة.. ورفع علم اليمن الموحد على سارية سفارات الجمهورية اليمنية، وسط هتافات بوحدة الأمة العربية، وفرحة وئام شطرين طال انفصالهما.. وعملت المطابع كما لم تعمل من قبل وتجمعت الحروف معلنة أن الوحدة فتحت آفاقاً جديدة لليمن، وانها تعد مزيداً من الفرص إمام شعب الجزء الجنوبي للجزيرة العربية، لتحقيق التقدم والرخاء، بعد أن تم إرساء البنية الأساسية ، ووضع أساس الدولة الحديثة.. وقال : هاهم بنو قحطان ينتزعون أقدامهم من الوحول، وينتصرون انتصارهم الرائع لبنى قحطان ولإخوانهم بنى عدنان سواء، ويعلنون إعادة الأمور الى طبائعها الفطرية السوية، فتحقق مجدداً وحدة اليمن الواحد السعيد.

وقال المثقفون العرب في صفحات ثقافية متخصصة: إذا كان لا سبيل الى وجود إنسان نصفه الايمن ابيض ونصفه الايسر أسود.. كذلك لا سبيل الى أن تكون هناك ثقافة يمنية خاصة بالشمال، وثقافة خاصة بالجنوب.. ومن يحاول ذلك إنما يحرث في البحر، ويكتب فوق الماء.. وقالوا:ان للسياسة احكامها ومنطقها، ورياحها التي تجري بعنف وجنون حتى لتنقلب كالعواصف الهوجاء العمياء.. ولكن للثقافة أيضاً قوانينها الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل مهما جرت الرياح وغضبت العواصف.

سيذهب هذا الزمن – إن آجلاً او عاجلاً – وسيأتى الزمن الجديد الذي تتفق فيه السياسة مع الثقافة.. ويتحد فيه المنطق السياسي مع المنطق الثقافي.. وعندئذ سوف تزول الحدود والسدود، ويصبح الوطن العربى كبيراً.. كبيراً والإنسان العربى هو المواطن الأول في كل جزء من هذا الوطن..

وفي آخـــر الخطـــي.. ســـلام على صنعاء محطتي الأخيرة حتى رحيل جديد..

والخطي موصولة الى يوم ٢٢ مايو ٢٠٠٠م.

اليمن الإرث وأفق الحرية

المرء يفتح شباكه لينظر الى الخارج.. ويفتح عينيه لينظر إلى الباطن .. وما النظر سوى تسلقك الجدار الفاصل بينك وبين الحرية.. ولكن الكلمات التي خطها قلم الكاتب المعتق والأستاذ القدير عبد الباري طاهر بين دفتي هذا "الكتاب" تجعلك تحس بأن الرجل يعشق الحرية والديمقراطية بدرجة لا يخفي بها مشاعره، ويثبت لنا ان الحرية هي الفعل العشقي الوحيد الذي تشترك فيه جميع حواسنا.. نعم نحن في حاجة الى حواسنا الخمس للاستمتاع بالحرية.. والحرية عند عبد الباري طاهر : الا تنتظر شيئاً لأن الترقب حالة عبودية.

وعندما بدأت في كتابة مادة صحافية تستعرض (كتاب) عبد البارى طاهر (اليمن والإرث وأفق الحرية) الصادر من مؤسسة العفيف الثقافية.. كان (الكتاب) يستدرجني لأحاسيس لم تغادر ذاكرتي وكأن يغريني بالكتابة.

الكاتب قطعاً لم يتوقف عن الكتابة.. وصفحات (الأسبوع) الصحيفة حظيت كثيراً بابداعاته، وكان دائما مجاهراً برأيه الذي تكسوه اللغة ويكشف عنه بين الجمل.. لم يدخل حزب الصمت و لم يخلع صوته.. ولذلك أجد نفسى أمام كاتب احسه دائما رجلا فوق العقد، فوق الشبهات.

لو تدري لذة ان تكتب عن كاتب يمشى في الشارع مرفوع الرأس ولسان حاله يقول : أريد ان يخجل بعض ممن يلتقون بي.. ان يطاطئوا رؤوسهم ويسألوني عن أخباري.. وهم يعرفون أنني اعرف اخبارهم .. وأننى شاهد على الزمن.

يستطيع القارئ بسهولة أن يتصفح من خلال هذا الكتاب القضايا الكبيرة التي كانت موضوع جدل في الحياة الفكرية في اليمن، بل في العالم العربي، انها قضايا التنمية

والـــتحرر الفكـــرى وامتلاك العلم والمعرفة حسب ما قدم له الأستاذ احمد جابر عفيف الـــذي قـــال : ان الكاتب يدهشنا بما تحلى به من تفتح وتسامح في قرن اتسم بتمترس الحضور الى معسكرات وخنادق متواجهة.

يقـــول طاهـــر: في الوطن العربي نشهد حركة ناشطة ودؤوبة لمعرفة (الذات) بواســـطة الـــذات في صراعها الشامل والمرير مع الذات والآخر.. ورغم الانكسارات والنكسات بواسطة الآخر الصهيوني الامبريالي يرى ان الانتفاضة الفلسطينية تمثل استمرار ارادة العامـــة العربية الرافضة للاستسلام. وإن وحدتنا اليمنية هي الاضافة الجادة لسعى امتنا العربية لبناء وحدتها.

ويرى الكاتب ان الكفاح المسلح الذي قاده الشعب اليمني كشعب وكجزء من البلاد العربية التي كانت ترزح تحت النير الاجنبى وقادت عشرات الهبات والتمردات، لا يمكن ابدأ طمسه بجرة قلم ومهما كانت القيادة التي تصدت لهذا الغزو، فليست القضية (حـــبق وإلا الديـــك) وإن من حق الأمم والشعوب ان تتصدى للغزو الاجنبى في ظل القيادة المتوفرة والممكنة وفي الشروط القائمة.

ويقـــول الكـــاتب : ان اختلاف المذاهب في اليمن لم يحل اطلاقا دون التفاف ليمنيين حول بعض القيادات الوطنية والنضال تحت رأيتها بقطع النظر عن المذهب، كما حصـــل بالنســـبة لعلى بن الفضل – القرمطي- الصليحيين – الاسماعيليين – على بن مهدى – الخارجي – وغيرهم.

ويرى طاهر انه من السذاجة بمكان طرح سؤال من الذي أسس التنظيم الثورى (تنظـــيم الضـــباط الأحرار) وانما السؤال الجوهرى : ما هي طبيعة التنظيم الاجتماعية مـــنهجة الفكـــرى ورؤاه السياسية ؟ كما ان ثورة السادس والعشرين من سبتمبر شأنها

شأن الثورات القومية قد شارك في قيامها وقيادتها طلائع من المثقفين ذوى التوجه التقدمي والقومي العام.

ويقول طاهر : ان طبيعة الثورات القومية العربية التي قادتها تنظيمات عسكرية تعتمد على الضبط والربط وغياب تقاليد ديمقراطية حقيقية ليست داخل هذه المنظمات العسكرية فحسب وانما داخل المجتمع كله.. لقد اعتمدوا على الروح العسكرية واستهانوا كثيراً بحرية العمل السياسي وطاقات الجماهير . لقد خفت في الخمسينيات والستينيات صوت الديمقراطية وحل محله صوت الحرية والاشتراكية والوحدة القومية . وفي الحقيقة لقد استفادت القوى الاستعمارية والصهيونية والامبريالية في الخارج وبقايا الاقطاع والرأسمالية والتكنوقراط في الداخل ، من غياب الحريات العامة والديمقراطية في الثورة القومية (المصرية) ودفعت التجربة القومية وجميع قوى الثورة في المنطقة العربية كلها ثمن غياب النفس الديمقراطي في تجربة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

ويعتبر طاهر يوم ٢٢ مايو البداية الحقيقية لبزوغ فجر الحريات العامة في اليمن وانه من الخطأ أنكار أو حتى التقليل من أهمية بيان الـ٣٠ من نوفمبر ١٩٨٩م، الذي تضمن في ما تضمن حق العمل الحزبي والتعدد السياسي، والسماح بحق الاختلاف والتنوع. وكان المغزى الأهم أن الوحدة نفسها قد قامت على مدماك الديمقراطية والحريات السياسية، لكن – حسب الكاتب طاهر – برز عقب قيام دولة الوحدة اتجاهان سياسيان في اليمن حول فهمهما للديمقراطية والحريات والتعددية، وقف الفقيد الجاوى بينهما يدعو الى رفض سن تشريعات تقنن حق المواطن في التحزب او إبداء الرأى.

ويصف الكاتب المناخ الديمقراطي الذي ازدهر عقب الـ٢٢ من مايو بأنه ظل يحمل في ثناياه عيوب مراحل الشمولية والدكتاتورية ويرى ان الديمقراطية مهمة كفاحية،

وهـــي الســـلاح الوحيد للدفاع عن أعظم قيم ومعاني الوحدة والطريق لمحاربة الفساد ومحاولـــة أضـــعاف هيبة الدولة والتعدى على الدستور والنظام والقانون. والمسؤولية ان نكرس في اذهان اجيالنا ان المواطنة الحقيقية هي احترام الحريات والدفاع عنها كأهم حق من حقوق المواطنة. و لم ينس الكاتب وهو الذي كان نقيبا للصحفيين اليمنيين، ان يشير الى الأجواء التي خلقت بعد الحرب والتي برزت فيها قوى واتجاهات تريد الثأر وتصفية الحساب مع الحريات الصحفية.

وأخـــيراً لا نـــريد العـــرض أكثر من ذلك حتى نترك للقراء حرية الغوص في تفاصيل (الكتاب) فهم أمام كاتب شديد الحرص على التمسك بآداب الحوار .

سومانيون في صنعاء ..!!

عـــندما كتـــبت الأسبوع الماضى (سومانيون في الخرطوم) إتصل بي عدد من الأطباء والمدرسين يتابعون باهتمام انعقاد اللجنة اليمنية السودانية في الخرطوم وقالوا إنني كـــنت عاطفيـــاً للدرجة انهم يريدون من هذه العاطفة ان تنعكس تنفيذاً للبروتوكولات والاتفاقيات وتصب في تهيئة الأجواء النفسية لمزيد من العطاء.

قـــالوا انـــنا نقدر الدعم المعنوى الذي نجده في المجتمعات المحلية اليمنية وتلك الصـــفات التي نسمعها مراراً وتكراراً عن طيبة السوداني والثقة التي احاطونا بها ولكنها سرعان ما تتبدد ونصاب بالصدمة أمام المكاتب الرسمية، وعندما نختبر ذلك في المعاملات الرسمية.

بعـــض الأخوة العرب يثبتون في المحضر وفي مسودة الاتفاقيات المعاملة بالمثل ويتمسكون بها في التعامل الثنائي ولكننا نتحرك بتلك العاطفة المختزنة في الذاكرة وتسعى دون مبالاة ولذلك ندفع الثمن وأحيانا يكون باهظاً.

قـــال لي طـــبيب سوداني : مثلا نجد اعفاء رسوم الاقامة طبقاً للاتفاقية الثنائية ولكـــن تحـــت قبة الجوازات يدفع الطبيب السوداني الرسوم ولا يجد اذنا صاغية لحقوقه مهمـــا تحدث.. وأخيراً يقال له ادفع يا سوداني يا طيب نحن نحبكم كثيراً.. وإذا صدر قرار من رئيس وزراء سابق باعفاء السودانيين في القطاع العام من الرسوم يقال له: لقد ذهب هذا المسؤول ولابد من قرار جديد.

يقول احد المدرسين : تكمن المعاناة حقيقة في صرف المرتبات بشكل سنوى.. يـــبدأ العام الدراسى وتبدأ معه الديون وينتهي العام الدراسى وتصبح المواجهة مع تصفية الديون وغالباً ما تخرج الجيوب خالية إلا من تلك العاطفة المزمنة.. اننا نتمنى لو تصرف

لـــنا المستحقات حتى ولو كل شهرين بدلاً من منظر المدرسين وهم يتوافدون نهاية كل عـــام الى البـــنك المركزى في صنعاء وكأنهم يصرفون تعويضات المغتربين المتضررين من حرب الخليج الثانية.

الان هـــذه الاتفاقيات في الخرطوم لم يجف مدادها وتبدأ معها طائرات التفويج تطير من الخرطوم الى صنعاء وستبدأ رحلة المعاناة وينتشر اصحاب العمائم البيضاء على قمم الجبال وفي احضان الوديان ويبدأ العام الجديد والجميع يعيشون على أمل ان تتحسن الظروف في هذا العام... قاطعنى احدهم قائلا : إذا اصبحنا نحن نشكل أعلى نسبة من المدرســـين العرب في اليمن فهذا قدرنا في التواصل والايثار ولكن الى متي نكون كباش فداء لأخطاء يمكن تصحيحها.. والاندماج الذي تحدثت عنه يجب ان يكون له مردوده الايجـــابي علينـــا حـــتى لا ينتابنا احساس بأننا أصبحنا عالة على المجتمع اليمني بدلاً من اصـــحاب رســـالة.. فالخرطوم نفسها تتحدث عن نقص في المدرسين لتغطية المدارس المحلية.. قلت أنني مندهش أيضا لبعض المدرسين المعارين الذين يكملون عامهم الخامس ويتخلفون في اليمن للتعاقد الشخصى ناسين ان قدومهم الى هنا عبارة عن عقد ثنائي بين حكومـــتين والمدهش أكثر ان تتعاقد التربية والتعليم في اليمن معهم .. ان هذا السلوك يوحـــي بـــأن شريحة المدرسين في السودان تعاني كساداً ودخلت سوق العمل بدلاً من سوق العلم.. ولا شك ان هذا السلوك يقلل من قدر المعلم السوداني ويجعله متاحاً بأي ثمـــن وأسفى للذين حولوا عقود التدريس الى البيع والشراء فماذا ننتظر من الذي اشترى عقـــده او حاول ذلك وأرجوا أن لا يكون ذلك.. فاليمن التي فتحت في الاضى فرص الـــتدريس لـــلعرب تعويضـــا للنقص الذي تواجهه لن يكون ذلك مكتوباً له الديمومة والاســـتمرار فلابـــد بحكـــم التطور ومرور الزمن ان تضيق هذه الفرص، ولذلك فإن الوضـــوح والصـــراحة كفيلة باتباع النهج السليم بدلاً من المجاملة التي ستضر بأهداف

الرسالة التربوية والتعليمية .. اخيراً أقول ان (السومانية) التي اعتبرها البعض عاطفة عابرة ليست هي كذلك، بل تميز في العلاقات الشعبية ونرجو لها ان تكون مبرأة من كل سوء وفي الوقــت نفســه تحق الحقوق وتنجز المعاملات وتكون افرازاتها احتراماً متبادلاً حتى يشعر ابناء اليمن ان الرسالة قد وصلت، ويشعر ابناء السودان ان الرسالة قد أنتهت متى مــا حــدث ذلك اللقاء بين صنعاء والخرطوم لن ينقطع طالما الحياة باقية ولكن لحظات الفراق لابد منها والا اصبح عقداً مدى الحياة !!

سومانيون في الخرطوم ..!!

كـــان يحلو لصديقي شيخ الصحفيين اليمنيين صالح الدحان، عندما كنت أحد اعضاء أسرة التحرير في صحيفة "٢٦" سبتمبر" معشوقتي حتى الثمالة.. ان يصف خاصية الاندماج بين السودانيين واليمنيين بكلمة "السومانية" وهو يعنى قمة الذوبان في بعضهما البعض وأكاد اجزم ان هذه الكلمة المعبرة هو أول من اطلقها ولعلها بعد ذلك اصبحت مصطلحا في قاموس العلاقات بين الخرطوم وصنعاء.. وقريبا قال لي دكتور الطيب زين العـــابدين اســـتاذ العلوم السياسية بجامعة الخرطوم : ان التقارب الذي نلمسه اليوم بين السوداني واليمني لم يأت عفويا وانما هو نتيجة لتواصل قديم يدل على عمق الصلات التي تـــربط بين الشعبين خاصة في صفاقم حيث نجد البساطة والتواضع والوضوح في الرأى والكـــرم، كلها صفات مشتركة كما نجد تقاربا بين الجاليات اليمنية والسودانية خارج بلادهم .

هـــذه الأيـــام تحتضن الخرطوم اجتماعات اللجنة السودانية — اليمنية المشتركة لتصـــب المزيد من شريان العلاقات ولا شك الها في تحسن مستمر وما تقوم به مثل هذه الاجـــتماعات بين وقت وآخر تدعم نقاط التلاقح والتفاعل الحيوي في المستقبل.. ولعل تـــبادل الـــزيارات والتبادل الاكاديمي بين الجامعات والكليات المتناظرة وعقد المؤتمرات العـــلمية والتـــبادل الاعلامي سوف يعمل على أثراء هذه العلاقات ويعمل على تقويتها ودعمها لما فيه صالح "السومانية".

لعل أول داسة علمية تناولت اوضاع السودانيين باليمن هي تلك الدراسة التي قام بها الاستاذ على عبد الله — الخبير الاقتصادى لدى الصندوق الكويتي بالجهاز المركزى للـــتخطيط وشمـــلت الدراسة عامي ١٩٧٩م و١٩٨١م. وقد اشارت الى نقطة جديرة

بالاهتمام وهي عدم وجود مشاكل للمغترب السوداني في اليمن، إذ ثبت بالواقع ان هناك العديد من السمات المشتركة مما يجعل المشاكل التي تحدث للمغترب السوداني سهلة الحل في معظم الاحيان.

يعود تاريخ تأسيس اول جالية يمنية في السودان الى عام ١٩٥٤م وأول جالية سودانية في اليمن عام ١٩٧٨م وقد تم إنشاء أول مكتب اتصال قنصلى بالخرطوم عام ١٩٥٦م، كما يعود انشاء اول سفارة سودانية باليمن على مستوى التمثيل المقيم الى سبتمبر عام ١٩٧٥م.

اتساءل مرات عديدة كيف فكر السوداني في الاغتراب وسط اليمنيين بالرغم من ان "ابو يمن" انفسهم يغتربون في دول الخليج .. ويمكن ان يكون التفسير الاقتصادى ان تدفق مدخراقم الى اليمن بصورة مضطردة عمق الانطباع بان اليمن تشبه الدول النفطية من ناحية فرض الموارد وفرض العمل ويبدو الها كانت تشجع ضمناً تدفق الأيدي العاملة العربية لتعوض النقص في الكفاءات الفنية وغير الفنية.. ولكن التفسير السوماني هو ان اليمنيين هم انفسهم عاشوا في السودان واندمجوا في مجتمعاته وعندما شدوا رحال العودة الجماعية الى بلادهم لم يتحمل السودانيون فراقهم فلحقوا بهم ويمكن ان يحدث العكس مستقبلا طالماً الهم لا يطيقون فراق بعضهم البعض.

وتؤكد بعض الآثار الموجودة في منطقة (حلايب) بشرق السودان والبجراوية في شمال السودان على قدم العلاقات التي تربط السودان باليمن ، ولعل معظم من هاجر الى السودان من العرب كانوا من اصول يمانية وتواصلت الاتصالات ايضا على المستوى الثقافي، فقد شهدت العلاقات تلاقحاً فكريا كبيراً بين علماء البلدين حيث التقوا في مصر والحرمين الشريفين. وقد افرزت هذه اللقاءات علاقات ثقافية ثنائية. كما ان اول من قاموا بنشر الحضارة والثقافة الاسلامية على نمط علمى كانوا من اليمن وجاء ذكرهم

في طـــبقات د.ضـــيف الله والـــذي قام بتحقيقه البروفيسور يوسف فضل مدير جامعة الخـــرطوم الأسبق، "حيث ساهم غلام الله بن عائد اليمني والذي قدم من الحليلة باليمن الى دنقلا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر.. وتخبرنا احدى كتب النسب السودانية انـــه قرر السكن بها" ويبدو ان طلائع العلماء والمتصوفة مثل غلام الله بن عائد وغيره قد زادت من انتشار الدعوة الإسلامية في مرحلتها الأولى.

وأخـــيراً لا ننسى ان "السومانية" لها افرازاتها الفكاهية فهناك اليمنى الذي جاء لمـــترل صديقه السوداني ليصطحبه فقالت له زوجته انه : تغدى ومرق وهي تعنى خرج بالعامية السودانية ولما كان اليمني يفهم كلمة "مرق" بمعني الشوربة... جلس منتظراً.. ومنـــتظراً..ليسأل زوجة السوداني مرة أخرى من خلف الباب :" ألم ينتهي زوجك بعد من غذاء المرق.. ولعله مازال منتظراً ..فعلاً انهم لا يطيقون الفراق ولو تغدوا مرق!!

"الله كريم"....تعلمها "رامبو" في عدن !!

توقفـــت عند رواية خبرية جاءت هذه المرة من عدن وبطلها الشاعر الفرنسى "رامبو" الذي تتجدد شهرته يوماً بعد يوم، ويقول الخبر ان البيت الذي عاش فيه "رامبو" عـــندما كان في عدن والذي تحول الى فندق أطلق عليه اسم "رامبو" الامريكي واختفى "رامبو" الفرنسى مما آثار استياء المهتمين بشعره في فرنسا وعاتبوا المدينة على ذلك.

آرثـــر رامبو (١٨٥٤-١٨٩١م) من اكبر شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر، ويعــرف بانه مهم وموهوب ، واشعاره تزداد تألقاً مع الأيام ويجتهد الباحثون في تقديم تفسير لها، كلما ظهرت مناهج جديدة للبحث في الشعر ودراسته.

في عام ١٨٧٦م عندما قرر "رامبو" السفر الى الشرق، وبعد مغامرات طويلة، ذهــب الى عــدن، ثم انتقل منها الى الحبشة، ودخل مجاهل افريقيا التي لم يكن يعرفها الاوروبيــون في ذلــك الحــين، وفي هذه الفترة زار بعض بلدان الخليج، وزار القاهرة والاســكندرية والخــرطوم واستقر به الامر في مدينة هرر الأثيوبية حيث اصبح تاجراً مرموقاً من تجار السلاح.

ولكـــن تظل عدن محطة هامة في حياة الشاعر "رامبو" فعندما عاد الى باريس مريضـــا وخرج المرض عن سيطرة الطب قضى شهوره الأخيرة في عذاب شديد، وأمام العذاب الذي كان "رامبو" يعانيه اعلن إيمانه كما تروى اخته "ايزابيلا"على لسانه وذلك في الأيام الأخيرة التي قضاها في قمة الألم قبل ان يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وقالت "ايزابيلا" انـــه كان يقول باللغة العربية التي تعلمها في عدن "الله كريم.. الله كريم"بل كانت تلك الكلمات العربية هي آخر الكلمات التي نطق بها وبعدها رحل عن الدنيا.

يقـــول البعض : ان هذا المتمرد الملعون العبقرى لا يمكن ان يكون قد استسلم للإيمـــان، وإنما هي قصة لفقتها أخته "ايزابيلا" طمعا في رحمة الله وأملا في تحسين سمعة شـــقيقها، ويقول آخرون : لماذا لا تصدقون ان الشاعر آمن بعد ان جرب كل شيء، وبعد أن وصل الى مكان يحلم به من ثراء لم يكن يملك منه شيئاً، وبعد ان ادرك ان هذا الـــثراء سراب ، وان العبث كامن في هذه الدنيا، بدليل انه فقد حياته بعد ان تصور ان السـعادة قــد تحققـــت، وأن أداة السعادة وهي المال الذي كان يحلم به قد اصبحت ميسورة، لماذا لا نصدق ان هذا الشاعر العبقرى والمتشرد النادر قد عرف الله في ساعات عذابه الاليمة التي قضاها وهو يحتضر بينما الألم يدق عظامه ويسحقها..

ان الاقرب الى العقل ان نقول ان الشاعر قد آمن حقا في لحظاته الأخيرة، وانه بهذا الايمان وحده قد مات هادئا راضيا قانعا بان السعادة تأتى أولاً من داخل الإنسان، وأنـــه ليـــس بالرفض والشذوذ والتمرد والمال يحيا الانسان، فهناك شيء في الحياة أكبر وأعمق.

وقصـــة هذا الشاعر مليئة بالغرائب والأعاجيب، منذ البداية حتى النهاية، وقد أطـــلق عـــليه عدد من النقاد أسم "الشاعر الملعون" لأن شعره لم يكن خاضعاً لقاعدة واضـــحة مفهومـــة، ولكنه مع ذلك كان شعراً ساحراً، لقد توقف عن كتابة الشعر في الثامـــنة عشرة تقريباً، أي انه بلغ قمة عبقريته الفنية في هذه السن الصغيرة المبكرة، وكل أشـــعاره التي تلفت نظر الدنيا الأن وتصدر في طبعات جديدة باستمرار، كل هذا يدور حـــول أشـــعار "رامبو" التي كتبها ما بين الخامسة عشرة الى الثامنة عشرة، و لم يكتب بعدها شيئاً حتى نتصور أحياناً أن له أعمالاً اخرى مجهولة وحتى عندما أدعت الصحف الفرنسية ذلك أعلنت الأوساط الادبية هناك عدم صحة ذلك.

قدم كل أعماله الأدبية في ثلاث سنوات، بعد أن قدم ستة أعمال هي :

"أشــعار طــالب- أشــعار بوهــيمي-الشاعر في السابعة عشرة- صحارى الحب- الاشــراقات- فصــل في الجحيم "..ونشر هذه الأعمال العجيبة كلها، والتي تجمع بين الشعر والنثر الفني الرفيع.

الوزراء .. هل سعداء ؟!

حقيقة الوزارة مسئولية كبرى تصيب من تسند اليه بارق شديد وهذه الحقائب الوزارية مجتمعة في مجلس تنفذ سياسة الدولة وفق البرامج والخطط المعلنة، وكل وزير في مجـــال اختصاصـــه معـــنى بما أصابه من نجاح او فشل.. ولذلك نجد انه في المجتمعات المتحضـــرة يقدم الوزير استقالته عندما تحيط به الاخطاء او شبهة الفساد او نزولا عند رغـــبة الرأي العام المحلى، ولكن في مجتمعاتنا المتخلفة يفقد الوزير حياته ولا يفقد حقيبته الوزارية ويتشبث بها الى أخر رمق.

والتطـــلع الى الحقيـــبة الوزاريـــة داء منتشـــر وسط السياسيين والتكنوقراط والاكاديمى الذي يحمل أعلى الدرجات العلمية يعتبر تقلده الوزارة اضافة هامة الى سيرته الذاتيـــة، وحتى وصفه بالوزير السابق صفة يسيل اليها لعابه، وكم منهم تقلدوا الوزارة وتركوها واعتبرها نهاية المطاف و لم يتركوا أثرا لنجاح ينسب لهم، ولا يرى المواطن حتى بصيصا من الأمل في (الخلف) بعد ان أحبطه (السلف) الذي غادر كرسى الوزارة يندب حظه ويبحث عن مشجب يعلق أخطاؤه عليه ويصب كل ما فى جعبته من غضب على معاونيـــه ومســـاعديه ولن يتجرأ ان يعترف ولو بقليل من الأخطاء وان كانت وزارته مختصـــة بهمـــوم المواطـــنين المباشرة يعتبرهم رعاعا لم يفهموه و لم يصبروا على سياسته الواعدة، لكن ليت الوزير الفاشل قد تذكر يومها وقبل ان يغادر كرسى الوزارة مقالا او معفيا.. مجبرا معزولا ... ان هناك عظمة ما فى ان نغادر المكان ونحن في قمة نجاحنا، انه الفرق بين عامة الناس والرجال الاستثنائيين.

تحضرنى مقوله لـــ (ديغول) : (ليس من حق وزير ان يشكو، فلا احد اجبره ان يكون وزيرا)، وزير سابق قال : (لم يجبرنا احد ولكن كنا نلهث وراء الكرسى ناسين

ان الوزيـــر في الـــنهاية موظف استبدل بسعادته كرسيا) وبعض الوزراء يصبحون من المدمـــنين على ذلك الكرسي، منهم اصحاب كل عهد وكل زمن .. اصحاب الحقائب الوزاريـــة اصـــحاب المهمات المشبوهة.. اصحاب السعادة، اصحاب التعاسة، اصحاب الماضي المجهول، اصحاب العقول الفارغة، والفيلات الضخمة والمجالس التي يتحدث عنها المفرد بصفة الجمع.. انهم مشاريع وزراء الى الأبد...

قال مدير مكتب وزير سابق : كنت لصيقا به وكنت كظله ارتبطت به ارتباط الحذاء بالقدم وتأكدت تماما ان بعض الوزراء ينسون كل شئ من حولهم الا انهم وزراء ويصـــبح الطاؤوس قدوتهم وعندما يأتى احدهم الخبر اليقين باعفائه او عزله يترل عليه كالصاعقة وكأنه خرج من كهف عزلته يجرجر خيبته واخفاقاته في السنين التي جلسها عـــلى ذلـــك الكرسي ، ويتمنى في ذلك الوقت لو كان يدرى لذة ان يمشى في الشارع مرفوع الرأس وهو الذي كان يمشى خطوتين على قدميه وكانت كل الشوارع محجوزة له.

رجل الشارع ينظر الى كل وزير حسب اختصاصه، فقد يغضب مثلا من وزير الخارجية لانه لا يملك من الحنكة التي تؤهله لتفعيل دبلوماسية بلده وما يترتب على ذلك من أزمات دبلوماسية وسياسية ، أو وزير المالية الذي تؤثر سياسته في كيس حوائجه التي يحملها يوميا الى اسرته، ومواطن يلعن الأوضاع المعيشية وارتفاع الاسعار وينظر الى ذلك الوزير الفاشل الذي جلب بسياسته الكوارث.

المواطـــنون يـــريدون مـــن الوزراء توفير الخدمات الضرورية ولن ينجو وزير الكهـــرباء من السخط اذا استمرت قطوعات التيار الكهربائي .. ووزير النفط يجب ان يضـــع في حسبانه توفير الوقود اللازم باسعار منخفضة للمزارعين... وهكذا لن يكون

الوزير سعيدا اذا كان رجل الشارع غاضبا.. لأنه ما عاد سلحفاة تنام على ظهرها حتى لا تهرب او قلبوها في محاولة انقلاب على المنطق !

أمريكا تنتظر (هارييت) جديدة !!

عـــندما كانت أمريكا تعتبر نظام الرق نظاماً مشروعاً وكان العبيد كلهم من الـــزنوج الذيـــن كـــانوا يعيشون في ظروف بالغة المهانة والقسوة، فكانوا يباعون في الأسواق، ويتعرضون للجلد والأذلال، أما أسيادهم فلم يكونوا يعرفون شيئاً أسمه حقوق الإنســـان أو الـــرحمة، بـــل لقد كان بعض هؤلاء الاسياد يعاملون الحيوانات أفضل مما يعاملون به عبيدهم من الزنوج.

في هـــذا الوقت كانت (هارييت) تسمع قصصا كثيرة عن سوء معاملة العبيد وإهدار إنسانيتهم، بل لقد رأت بنفسها حوادث من هذا النوع القاسي الذي لا يستريح له ضمير إنساني. وتحركت موهبتها الكامنة فيها وبدأت تكتب روايتها التي اصبحت بعد نشـــرها مـــن أشهر الروايات في أدب العالم كله، وهي رواية (كوخ العم توم) كانت تكـــتب كـــل ليلة، ثم تقرأ على أطفالها ما تكتبه، فيتأثرون أشد التأثر ، وكان بعضهم يســـتغرق في بكاء مرير، وتمنت (هارييت) ان تتمكن من التأثير على شعبها الأمريكي بـــنفس القوة التي كانت تؤثر بها على أطفالها. وتصورت انها لو استطاعت ان تؤثر على امـــريكا بهـــذه الصورة فانها سوف تساهم بذلك في الكشف عن مأساة العبيد. وربما استطاعت ان تحرر بلادها من وصمة العار التي تتمثل في نظام الرق.

واخـــذت تكتب وتكتب، حتى أكملت جزءاً أساسياً من قصتها وارسلتها الى احدى الصحف، فتحمس لها الناشر وبدأ يقدمها في حلقات مسلسلة، وأقبل الناس على القصـــة إقبالاً شديداً، وتضاعف توزيع الصحيفة مئات المرات، وعندما أعلنت الصحيفة ان الكاتـــبة سوف تتوقف عن كتابة الرواية، خرجت مظاهرات لتقتحم مبنى الصحيفة وتطـــالب باستمرار النشر وكانت امريكا كلها تقرأ الرواية، وكانت الدموع تسيل في

عيـــون الجميـــع وهم يقرأون، وهكذا بكت امريكا كلها بدموع غزيرة فوق صفحات الجريدة التي نشرت حلقات رواية (كوخ العم توم).

اصـــبح اسم (هارييت بيتشر ستو) على كل لسان، وقامت العواصم الاوروبية بـــترجمة الرواية الى لغاتها المختلفة، على أن الصورة كان لها وجه آخر، فقد كان انصار الـــرق والعـــبودية وخاصة في الجنوب الأمريكي يشعرون بالسخط الشديد عليها وعلى روايـــتها الـــتي فتحت عيون الزنوج، وحرضتهم على المطالبة بالحرية وصدر قرار رسمي بمصادرة الرواية ولكن الرواية تعمل عملها القوى في المجتمع الامريكي بين الذين يقرأونها علنا في الولايات الشمالية والذين يقرأونها سرا في ولايات الجنوب وبعد تسع سنوات من صدور الرواية وبالتحديد في سنة ١٨٦١م تشتعل الحرب الأهلية الامريكية بين الشمال والجـــنوب، وكـــان الموضوع الرئيسي لهذه الحرب هو الدعوة الى خلق امريكا جديدة وأحـــدة خاليـــة مـــن عار الرق والعبودية ووسط لهيب الحرب يعلن الرئيس الأمريكي الشـــجاع إبـــراهام لنكولن نداء إنسانيا بتحرير العبيد ويواصل الحرب حتى تحقيق هدفه النبيل ، ويصبح كل الزنوج احراراً وتتوقف مأساة الرق بصورة نهائية، وكان من نتائج هـــذه الحـــرب ايضا ان لنكولن نفسه، بطل تحرير العبيد وتوحيد امريكا، قد فقد حياته برصاصة اطلقها عليه احد المتعصبين الذين يحكم احفادهم الآن وهم اشد تعصبا والذين حولـــوا عبودية الزنوج التي مازالت آثارها حتى اليوم الى عبودية خارج حدود الولايات المتحدة واسترقاق الشعوب الاخرى ومحاولة استعباد العالم باكمله .

لقـــد كان ابراهام لنكولن صادقا في قوله عندما صافح كاتبة (كوخ العم توم) في البيت الابيض قائلا : هذه هي المرأة الصغيرة التي أشعلت الحرب الأهلية في البلاد.... فقـــد كـــانت بحق هي التي اشعلت الحرب بروايتها لانها جعلت من تحرير العبيد مطلبا إنسانيا عزيزاً لا يحتمل التاجيل ولا التهاون في شأنه، وايقظت ضمير الكثيرين ووضعت

امامهم صورة حية لمأساة الزنوج، بعد ان فضحت الكاتبة هذا النظام في روايتها.. فمن يفضـــح امـــريكا اليـــوم .. ومن يكشف عما سينتج عن الغطرسة الأمريكية واستفزاز الشـــعوب وقـــد مضـــى عـــام على تدمير مصنع دواء سوداني.. إذن لابد من ظهور (هارييت)جديدة توقظ الضمير الأمريكي وسط هذا الصمت الرهيب .

رامبو .... وثقافة السلام ..!!

يـــزعم (فرانســـيس فوكوياما) في نهاية التاريخ أن هذا القرن كان قرن سلام وتطور لم يسبق له مثيل في الرفاهية المادية.. هكذا يتحدث راعي البقر الجديد ـ الياباني الأصل هذه المرة – محاولا تمثل الحلم الأمريكي القديم – الجديد ، الذي حاول ان يجسده (ريجان) ومن بعده (بوش) ومعهما كان (رامبو) الذي سئل في نهاية أحد افلامه – وهو يقف وسط الأحراش الفيتنامية مدججا بكل أنواع الأسلحة الفتاكة – عما سيفعل بعد ان قضى على اعدائه، فاجاب بكل ثقة :

لن نرحل .. نحن باقون .. انهم يشعلون الحروب ويطالبوننا بتبنى ثقافة السلام!!

اننا عندما نتكلم اليوم عن التاريخ كما يقول لويس ديمون :

فان ما يجول في خاطرنا لا يقتصر على تسلسل مطلق او نسبى للاحداث ، وإنما يعنى سلسلة سببية، او بعبارة افضل مجموعة من التغيرات ذات المغزى..

في العقد الماضى وحده، كانت الحقائق التالية ضمن آثار النزاعات المسلحة على الاطفال : مليونا قتيل .. ستة ملايين جريح اصابتهم بالغة أو يعانون من الاعاقة الدائمة، اثـــنا عشـــر مـــليون اصبحوا بلا مأوى، اكثر من مليون اصبحوا يتامى أو انفصلوا عن عائلاتهم اكثر من عشرة ملايين تعرضوا للأذى النفسى..

في كولومبيا، قام رجال العصابات منذ عام بتشديد ما يقارب مليون شخص، معظمهـــم مـــن النســـاء والاطفال.. وحيث ان الاطفال هم الذين يتعرضون في العادة لـــلنزاعات المســـلحة، فقد قامت (حركة الاطفال للسلام) بتعبئة ما يقارب ١٣ مليون شـــخص مـــن الاطفال والبالغين، ليكرسوا انفسهم للعمل على انهاء العنف في بلدهم ، وذلك بالعمل النشط من اجل السلام والعدالة الاجتماعية.

لقد امضت حركة الاطفال للسلام كل عام ١٩٩٦م وهي تقود الحملات من اجل السلام، وقامت بجهد تعبوى وطني بالتنسيق مع (اليونسيف) وشبكة المنظمات غير الحكومية.

وفي عام ١٩٩٧م وبعد سنة واحدة من قيام اطفال كولومبيا بالتصويت في استفتاء لصالح السـلام قام عشرة ملايين من البالغين باتباع مبادرتهم، وفي اقتراع خاص اجرى خلال الانـتخابات المحـلية والبلدية والاقليمية، صوتوا من اجل السلام ورفض جميع اشكال العنف.. وبعد ثلاثة أيام فقط من تصويتهم استجاب رئيس الجمهورية في ذلك الوقت. لارادة الاطفال والبالغين في بلده واعلن ايقاف تجنيد الاطفال دون سن الثامنة عشرة في الجيش .. هذه مبادرات المظلومين فأين مبادرات الظالمين وعلى رأسهم أبناء اليانكي !!

رحيل (الأسبوع) .. ورحلة البحث عنها !!

كان المقر الجديد الذي انتقلت صحيفة (الاسبوع) واضح المعالم بالنسبة لذلك الشـــاب الخلوق (وضاح) .. لقد كان يشرف على عملية الرحيل.. وكنت استمع اليه وهو يدلني على امكانية الوصول إليه بداية بشارع بغداد ونهاية بالطريق الفرعي المتفرع لذلـــك المكـــان وحسبت نفسي قد استوعبت الوصف ولكنني نسيت (التوهان) الذي يلازمني دائما عند البحث عن الامكنة..

في ليلة الاربعاء بدأت رحلة البحث عن المكان الجديد وكان (التوهان) حليفي كالعـــادة.. وضـــللت الطريق في الوصول إليه ولكن التزامي نحو القارئ وان يجد المقال الاسبوعي طريقه للنشر كان الحافز الوحيد الذي شجعني لكسر العادة بالعودة من حيث اتيت وتابعت السير بخطوات واثقة واستدعت ذاكرتي الخربة وصف معالم المكان وعندما وصـــلت الى عمارة زيد القباطي الشاهقة مع وقف التشطيب في شارع بغداد احترقت الســـكريات الرمضانية بالمشي ذهاباً واياباً واندفعت خطاي في شارع المحروقات وحينها تحسست جيباً عميقا في بنطلوني فوجدت رقم تليفون المكان الذي اعطاني اياه (وضاح) وجـــاء صـــوت الهاتف فقد نجحت في الوصول بصحبة حفيد النعمان (لطفي) وانتهت عندي عقدة البحث عن الامكنة الى الابد.

المكان ليس كجميع الامكنة التي كنت ابحث عنها لغرض عابر وربما اعود اليه ثانيـــة انه امتداد لتاريخ صحيفة شهد ميلادها شارع (القاهرة) قبالة جولة (سبأ) حيث المقر الذي ودعناه والذي احتوى لأكثر من عامين الصحاب والمبادئ والاحلام ونزفت فيه الاقلام مداداً وانفعالاً وتفاعلاً مع قضايا هذا البلد.. لم تكن لافتة "الاسبوع) في ذلك الشارع يتهيبها الناس كمثل اماكن تواجد الصفوة والنخبة وكأنها جزيرة معزولة ولكنها

كسـرت الحاجز المفتعل بين الصفوة والعامة.. لأنها لخدمتهم والبحث في قضاياهم .. فالصـحف مـن الأمـاكن التي لا يهابها الناس.. او هكذا يجب ان تكون.. ويعترف المهندسـون المعماريون بان الابنية الشاهقة والفنادق الفخمة قد يتهيب من دخولها عامة الناس فبينها وبينهم مسافات. ١

ذلـك المكـان الذي انتقلنا منه شهد ميلاد العدد (صفر) وتوالت الاصدارات أسـبوعاً بعد أسبوع بامكانيات تحت خط الفقر.. ولا يقتصر هذا اللهيب على اضاءة الخاتمـة الـنهائية لعهـد مضى في ذلك المكان.. بل يضيء ايضا حقبة مقبلة في المكان الجديـد.. انها رغبة مشتعلة في داخلنا تدفعنا الى اجهاد النفس.. حتى وان كانت معظم الاشـياء لا تـتوافر برغبة الانسان.. ان طرق الكتابة مضنية وشاقة ولكن (الاسبوع) اخـتارت طريقاً يقول سالكوه (ان من الخطأ إيذاء أذني القارئ كما أنه من الخطأ إيذاء قلبه)..

قـبيل الرحيل كنت انادى صديقي الكاتب والصحفى الكبير الذي خلقه الله لهـذه المهنة صالح عبده الدحان.. كنت انادى الدحان آلياً.. ولكن سرق (البيجر)؟؟من قطع النداء الآلي ؟؟ لقد كان اقتراحه بتقييم تجربة (الأسبوع) قبل دخول العالم الثالث من اصـدارها جديراً بالاهتمام انه يريد أرساء تقليد صحافى جديد أسمه (تلخيص التجربة) وممارسـة الـنقد الذاتي.. فمن غير الدحان يأتى بكل جديد.. أنه تراكم من التجارب والخبرات ..

وكمـا دشن الاستاذ العزيز عبد الباري طاهر ولادة (الأسبوع) بهذه الكلمات أعيـد نشـرها ترياقاً للمكان الجديد ومناعة مكتسبة من استاذ معتبر.. قال طاهر :(أن "أسـبوع" العديـي الذي رأيناه وقرأناه في عددين اثنين يتسمان بالحصافة والمسؤولية

والأبـــداع.. فهـــل تكـــون "الأســـبوع" الاضافة الجديدة والخلاقة لصحافتنا الواعدة والوليدة؟".

النعامة لا تدفن رأسها .. !!

منطق النعامة التي تدفن رأسها في الرمال لدى ظهور الخطر وجد الكثير من الذين يستدلون به.. وقد كنت إلى عهد قريب استغرب من تصرف النعامة هذا، باعتبار ان كل حيوان أو كائن على سطح هذه الأرض مزود بقدرات هائلة على ادراك الخطر والابتعاد عنه فلماذا النعامة بالذات هي وحدها التي تدفن رأسها في الرمال ساعة الخطر ؟! إلى ان قرأت للكاتب الكبير ملك القصة القصيرة في الوطن العربي الدكتور يوسف ادريس ليؤكد لى ما قرأته منذ بضع سنوات ما جعلني أدرك أني كنت على حق في استغرابي، فقد قرأت ان النعامة – ابدا- لا تدفن رأسها في الرمال وانما هي تقرب من رأسها العالى وتلوى عنقها لكي يصبح الرأس قريبا جداً من الارض لتسمع دبيب أي قطيع متوحش قادم، وتدرك من اين هو قادم، لتحدد اتجاه نجاتها وانطلاقها بسيقانها الى أبعد بعيد.. انه الانذار المبكر بلغة العصر.. الملاحظون من البشر هم الذين كانوا سذجاً الى درجة انهم ظنوا ان النعامة (تدفن) رأسها تحاشيا لرؤية الخطر القادم غلا انهم هم يرون الخطر ويرونها تميل برأسها ولكنهم لو عرفوا انها تميل برأسها لكي تسمع وتحدد مكان واتجاه الخطر لتنقذ نفسها لما كان هذا المثل الساذج قد قامت له قائمة ابداً وسيطر على كتاباتنا أبداً.

إذن حتى النعامة لا تتعامى عن الخطر، ولا أي حيوان أخر يتعامي عن الخطر – الانسان هو الحيوان الوحيد الذي – أحياناً ما – يري الخطر ولكنه يتعامي عنه.

ومعظم انظمتنا العربية مازالت تتمسك بهذا المثل الساذج.. وبالتالى نجد كل الاجهزة المناط بها الحيطة والحذر والتحليل وتوقعات المستقبل في نوم عميق، وتعمل ليومها هذا فقط حتى تشع شمس نهارها غداً لتعمل من جيد، ولذلك تكون أيامنا محاطة

بالمفاجــآت ومستســلمة للخطر... وما أكثر الصدمات التي لا نفيق من أحداهما حتى تداهمــنا الاخرى.. فإلى متى هذا الاستهتار ؟.. والى متى ندفن رؤوسنا في الرمال ؟ وإلى مــتى نــردد مقولة الليل غطى الجبال .. فما اكثر ما يدبر لنا بليل ، وما يخطط لنا على أبواب الفجر.

الأعياد الجاهزة

لا احـــب عيد التضامن مع كذا، أو اليوم العالمى لكذا..وربما كنت أكره ذلك كـــراهيتي لكل الاعياد الجاهزة للفرح أو الحزن التي افضل عليها ذلك الاحتفاء السرى، بمناسبات وحدنا نعرف تاريخها.

لذلـــك حاولت دائما ان اهرب من فخ الاعياد الجاهزة التي يضعنى فيها ذلك اليـــوم في يوم واحد للتضامن او التعاطف أو الحزن ، ويعود الناس بعدها إلى اهتماماتهم الأخرى.

في الواقـــع كـــنت دائما مشغولاً بجوهر الأشياء نفسها التي يصنع منها البعض مناســـبة، وقد تذكرت وانا اتابع باهتمام هذه الأيام الهجمة الصهيونية الشرسة المستمرة والمتواصلة على الجنوب اللبناني ، تذكرت وأنا في بيروت اولئك الجنوبيين اللنانيين الذين عـــندما اعلنت الحكومة اللبنانية عن يوم (اصفر) للتضامن مع الجنوب، تركوا اللبنانيين آخـــرين من نواب وسياسيين وتجار واعلاميين ومواطنين عاديين، زهو التباهي بولائهم للجنوب، واستعراض حسهم الوطني في الشوارع وأمام شاشات التلفزيون، بربط شريط اصـــفر على واجهات محلاتهم، او تعليق عقدة صفراء على الجيب العلوى لبدلهم. اما هم أهـــل الجـــنوب فكانوا ذلك الجنوب نفسه، الصامد في كل أيام السنة، والمتلقى وحده القصـــف والغـــارات الجويـــة والانزالات على مدار الفصول والأشهر. فمع من تراهم سيتضـــامنون ؟ واي شريط اصفر يضعون ؟ وهم يعيشون داخل (الشريط) نفسه.. أو على حافته !

مثـــلهم يفاجـــئنى هـــوس الناس باللون الأحمر في يوم واحد من أيام السنة.. واحتفاؤهم بعيد الحب نيابة عن عشاق آخرين نذروا أنفسهم سراً للحب، هم أتباع ابن

زيـــدون وابى فـــراس الحمـــداني، وبوشكين، وعنترة، وقيس، وكليوباترا، وولادة بنت المستكفى، وجورج صاند، ونابليون.

ان تطـــلب من واحد من هؤلاء ان يحتفى بعيد الحب بشراء قلب من الساتان الأحمـــر محشو بالقطن هدية لحبيبته، كان تطلب من خليل حاوى الذي انتحر في صيف ١٩٨٢م باطلاق رصاصتين على رأسه احتجاجاً على اجتياح اسرائيل للجنوب، أن يضع على جيب سترته العلوى شريطا اصفر ليثبت ولاءه للجنوب وحبه للوطن.

في الســـودان نريد يوما يعلن فيه الانتحار لكل من يفشل في تقديم ما يستحقه هذا الوطن على طريقة خليل حاوى او على طريقة هتلر لان هناك الذين يحتفون بالوطن وهنالك الذين يحتفى بهم الوطن.

صوت خارج صناديق الاقتراع

عشية الاقتراع، كان المركز الإعلامي للانتخابات يبث عبر الأثير الكلمات والصور التي اجتازت الحدود اليمنية.. واشتبكت القنوات والإذاعات والمطبوعات في مدن وعواصم كثيرة مع صنعاء.. انه العالم الذي اصبح بالفعل قرية واحدة تربطه شبكة اتصال واحدة.. واصبح الحديث متاحا للجميع.. فالتجربة الديمقراطية اليمنية بدأت لتنطلق ومهما احاطت بها بعض النواقص.. إلا أن المبدأ قد بدأ ترسيخه، والرسالة وصلت.. فهذا الحراك الجماهيري واختيار حاكم عربى بالانتخابات المباشرة يعتبر طفرة في وطن عربى لا يعرف مثل هذا السلوك، بل انه يتحاشاه.. انها روعة المشهد دائما تأتى من اليمن.

في المركز الإعلامي، جلسنا مجموعة من الصحفيين العرب نحلم بتغطية انتخابات مباشرة في كل قطر عربى.. ونحلم بالتجربة الديمقراطية مهما كانت بدايتها من المحيط إلى الخليج .. نحلم ايضا بتوثيق تجارب ديمقراطية تنطلق فيها أصوات المراسلين العرب من عواصم عربية عديدة، ويتحول المداد عبر الأثير الى فرحة عارمة وسط القراء والمشاهدين العرب.. فإلى متى يستمر الحاكم كالملاكم في الوطن العربى هدفه النصر وحمل اللقب، حتى وان لم تصفق له الجماهير..؟! فالعودة للجماهير بين وقت وآخر، تجدد المشاعر، وترسخ الاحساس بالمشاركة ، ويأتى التفافها حول الحاكم خيراً من التفافه حول عنقها وجلوسه على قلبها.. حتى الاستفتاء يعطى احساساً بالمشاركة بدلاً من التغييب الكلى.

لقد كانت مهرجانات اليمن الانتخابية للمرشحين، ترياقا ضد السكون، وكسراً للجمود .. وكان الحراك حراكاً ايجابياً فيه احساس بالمواطنة وليس التبعية ..حتى

كلمات المرشح نجيب قحطان ، كان لها الاثر في اثراء التجربة .. فهو يرى في مشاركته كمنافس في اول انتخابات مباشرة، تطويراً للتجربة الديمقراطية، وتعضيداً لمسيرتها.. إنها اللبـــنة الأولى، فيكفـــى المشاركة فيها لان الفوز نتيجة للتجربة، وكيفية الفوز تتأصل وتـــتطور مع استمرار التجربة، وليس العكس.. امران كلاهما مر في اللعبة الديمقراطية في بدايتها .. فمن لم يشارك في البداية سيحرم من متعة النهاية.. والنهاية أعنى بها النضوج .. فعـــندما تنضج التجربة يشتد عود الذي شارك وساهم في بدايتها، وتتجاوز بالطبع الذي وقف متفرجا على الرصيف .

كـــانت مهرجانات الانتخابات لكل مراقب، كضربة البداية في هذه التجربة، تعكـــس نتـــيجة مبكرة لصالح الرئيس صالح.. وكان لكل تجمع دلالاته.. فكانت إب حقيقـــة.. وكـــانت ذمـــار جـــادة..فالرئيس صالح من حقه ان يقطف ثمار انجازاته، ويصطحبها لسنوات في هذه التجربة.. فليس المقصود التنكر للقديم، ولكنه سيظل معتقاً يرفد بخبراته ضربة البداية، ويسعد يوماً بفرحة نضوج التجربة.. ولكن في اليمن تريدها عـــلى نار هادئة.. فلماذا نتعجل ؟؟ ويكفى اليمن انها بدأت، وهناك من لم يبدأ بعد .. فالســـابق بخطـــوة سيظل قابضا على ثمرة التجربة .. واعان الله الرئيس صالح للسنوات الخمس القادمة.

صائمون إلا من الصحف !!

سئل فيلسوف عن قول الحقيقة.. فقال : الحقيقة اشبه بالعضلات.. إذا اهملت تدريبها فقدت قوتها واصبحت في خطر ثم تعجز بمرور الوقت عن اداء وظيفتها .. وقال قارئ صحف صائم إلا منها: انني اقاوم ساعات العمل بقراءة كلام الصحف، فهي من وسائل المقاومة الرمضانية تساعد على مرور الساعات ويمضي الوقت بالصائم ولكنني لا ادرى مـــدى الحقيقة في الكلام الذي تطلقه الصحف.. يجب ان يكون الصحفي صادقا في رمضان !!

الصحافيون يقولون : الحقيقة لن تتوقف هي اقرب من نبض القلب الى المداد.. ويجب يكون ان الصحفي صادقا طوال حياته وإن كذبت مصادره .. وان فشل في نقل الحقيقـــة مـــرة فامامه مرات وممرات اليها.. ما من سبيل في العالم لان يتفادي الصحفي الحقيقـــة إن خطر بباله ان يكتب تقريراً صادقا وهادفاً عما خبره بنفسه.. ان الصحفي ومهمـــا كان ماضيه طويلا في الدفاع عن القضايا الانسانية يغرف بفيض من الكراهية ويتهم إذا تجرأ وتحدث عن حقائق .. ولكن لا مفر من الحقيقة إلا اليها.

مـــن يحاسب الصحفي إذا كتب كلاما غير الحقيقة ؟ لا سبيل لحل القضايا إلا بالتحدث عنها.. إن انقاذ الحقيقة من الخطر يتطلب واقعية وانتباها والتزاما منا جميعاً..إذا افـــلح البعض في كبح الحقيقة حول موضوع معين فلابد ان يغرى ذلك جماعات اخرى بمحاولـــة الشـــيء نفسه دعما لقضاياها المفضلة.. وإذا تم ارغام صحفي على السكوت الشـــائن عـــن الحقيقة في السياسة العامة فإن اعضاء اخرى في الجسم السياسي يمكن ان تشـــل بالطـــريقة ذاتها .. وباختصار إذا تمكن البعض من خنق الحقيقة في موضوع مثير للجدل فان حرية الكلام تصبح مهددة.

إنني كصحفي لا احتمل الترويع، ورغم انف كل شيء تبقى الحقيقة الماثلة لكل صحفي في العالم هي ان السبيل الوحيد لحل قضايا أي بلد هو التحدث عنها.. ويمضي الصحفيون يشتغلون وسط الرقابة على الحقيقة بحذر ودقة في الحركة حتى اعتادوا كما يتعود اللاعب المدرب ان يقفز على السلك الرقيق اسرع من قفز عابر الطريق على جادة الطريق!!

خير ما تفعله المجتمعات ان تكون في غاية التسامح مع الحقيقة، فلا تقف في طريقها لان في ذلك وقوفا في طريق الكلام لان المصر على قول الحقيقة عنيد تزيده طرائق العنف تشبثا بحقيقته وتشعل مصادره الحقيقة في صدره لهب الحرية المتوقد وضوءها الساطع وسرعان ما يتسرب اليها سوء الظن بالذي يريد منه حجب الحقيقة.

ان حساب الصحفي الذي يقول غير الحقيقة من حق القضاء وحده.. لان عقوبة اعدام الحقيقة عقوبة مخالفة لروحها.. ذلك ان صناعة قول الحقيقة عبر الصحافة وامتهان قولها ليس جريمة بذاتها كتزييف النقود او تهريب الممنوعات او احراز المخدرات او فتح اندية القمار حتى يجوز تعطيلها كصناعة او ما يستعمل فيها من الأدوات والوسائل.. بل هي صناعة من اشرف الصناعات ومن اعظمها خدمة للمجتمع فلا ينبغي ان تعامل معاملة الصناعات الممقوتة المحرمة.. وهل تصادر المنابر او تغلق المساجد او تعطل المدارس لان خطيبا اساء استعمال المنبر ؟ او مؤذنا نادى بغير الصلاة ؟ او مدرسا ارتكب في مدرسته أو جامعته امراً يحرمه القانون ؟ وعلى الذي يمتهن قول الحقيقة ان تقوده ثقافته الى ان تعبير حرية الكلام مرهون بمساحته حتى لا ينتج فوضى او يستحيل الى العدم او التهريج الذي لا طائل من ورائه.. رمضان كريم والحقيقة اكرم.

في انتظار المعلومات ..!!

اصبح العالم مخيفا تتلاحق فيه الاحداث الى درجة جنونية .. اصابتنا بالجنون نحن معشر الصحفيين..الاشياء تتسارع بطريقة اصبح الشهر فيها شيئاً حافلاً ممتداً طويلاً.. وكأنه اكثر من عام من أعوام زمان.. زمان الناس هداوة بال.. ولقد قرأت في مجلة علمية هذا الاحصاء الغريب عن (تسارع) المعلومات عبر التاريخ، فقد وجد بالبحث ان كمية المعلومات التي حصل عليها الانسان من عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٥٠ تعادل كمية المعلومات التي حصلت عليها البشرية منذ فجر التاريخ الى عام ١٩٠٠، وأن كمية المعلومات التي حصلت عليها البشرية من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٥م تعادل كمية المعلومات التي حصل عليها الإنسان منذ فجر التاريخ إلى عام ١٩٥٠م، بمعنى أننا نعيش في عصر تتسارع احداثه، وبالتالي يتسارع تكدسها الى درجة انك ما تكاد تبدأ تعلق على حدث، حتى تكون ثمة احداث اخرى قد تراكمت بحيث تنسى تماما ما قد سبقها..

ولهذا اصبحت المجلات التي كانت شهرية هي الى الكتاب السنوى اقرب، والمجلات والصحف الاسبوعية هي الى المجلات الشهرية اقرب، بل ان الصحف اليومية إذا قيست بسرعة تغطية القنوات الفضائية والاذاعات والانترنت اصبحت الى الصحف الاسبوعية اقرب.

نعم ايها العرب.. نحن نحيا في عصر المعلومات ، الدول المتقدمة متقدمة بما لديها من معلومات، والمتأخرة متأخرة بمقدار ما ينقصها من معلومات، ولابد ان تكون معلومات دقيقة وصحيحة مائة في المائة .. فعلى اساس تلك المعلومات تبنى تلك الدول سياساتها،

وتضـــع خططها وتناور اعداءها واصدقاءها ، وفي احيان كثيرة تنجح في قهرهم، فماذا عن عالمنا العربي المهيب ؟

ان معلوماتنا حتى عن انفسنا ليست ناقصة فقط، ولكنها في معظم الاحيان غير موجودة، حتى تلك المعلومات البدائية تماما مثل مستوى دخل الفرد في أي دولة عربية لا نعـــرفه ولا نبحثه، فنحن إنما نتلقاه من المؤسسات المالية الدولية، ان معلوماتنا مثلا عن التركيبات المختلفة للدول العربية ، والعلاقات والمعاهدات ومدى الاتصال التاريخي بين القبائل اليمنية وبين عرب الاندلس ومدى الايدي العاملة الاجنبية العربية في أي بلد عربي ومستواها ومشاكلها، وتأثير التفاعلات التي جرت في الساحة العربية كلها سلباً او ايجابياً مـــن جراء الحروب، والانتصارات المحددة، الهزائم غير المحددة، معلومات لا نعرفها، وان عرفناها فعن طريق الدراسات الغربية، ان العربي منا لا يعرف عدد (سراويله) حتى.. او احذيـــته، لا يعرف جاره.. ان ثورة المعلومات نحن في قلبها الآن بعد ان تجاوزنا الثورة الصـــناعية .. ولكن مازلنا في الانتظار.. ومن يبادل لجمع المعلومات أما مجنون قد خرج او عجيل مزدوج فتبا علينا ..فلنتفرج..!!

كان كيدهن عظيما في القاهرة !!

منذ زمن ليس بالقصير لم تعد المرأة العربية مسترخية نقول خوفا عليها.. رفقا بالقواريــر.. لقد ودعت ذلك الشاطئ الساحر من الاحلام الوردية الناعمة.. اصبحت حافــلة بالانطلاق العنيف..تتحمل الحصار وتجدها وسط الانفجار، وعندما تتقدم المرأة الصفوف لا يستطيع الرجل ان يتأخر ..انه "العيب العربي" الذي يصر على انتسابه للدم العربي.

وتظــل المرأة العربية هي الحاضن الاول للرجل ترفع معنوياته المهزومة وتذكره دائمــا بان العرب سيعودون الى سابق عهدهم في يوم من الأيام، فينهضون وتكون لهم كلمة مسموعة في حضارة العالم.

المــرأة العربية إذا احست بان الخوف يتسلل الى قلب الرجل لن تتركه لخوفه، وإذا مضى فيه فإن الصدام لابد ان يقع، تصبح الحياة بين الاثنين مستحيلة ، فإذا كان هو حاميها..فلابد لهذه الحماية أن تمتد الى ابعد مدى، وهي تفترض في الرجل ان يبعث فيها الثقة ويعطيها الاطمئنان والاحساس العميق بالامان.

اخيراً خرجت المرأة العربية تلامس ازمة الرجل العربي وتحقن وريده بالشجاعة وتحصنه بالمناعة ليس من اجل بنات جنسها اللائي يعانين تحت الاحتلال الصهيوني ولكن مــن اجــل كل نساء العرب اللائي اصبحن في خطر وعندما تناقلت الانباء قمة المرأة العــربية في القاهرة تخيلت الارهابي (باراك) الذي اشترط في البداية وقف الانتفاضة قد صــرف النظر عنها.. وانتابه الخوف اكثر من تحرك نساء العرب، فهو يدرك تماماً انهن القلب النابض بالعاطفة.. سيقود جيوشا تحرص على ان يكون قلبها مشتعلاً.

ان هـــذه القمة حتى لو قصد منها الاشادة بدور الرجل في تفعيل دور المرأة او ضغط زوجات الحكام على ازواجهن إلا أن شرارتها سوف تمتد الى نصف سكان الوطن العـــربي مـــن النساء وكم هو كيدهن عظيم وما اعظمه عندما يشكل بداية طريق عودة الروح لهذه الامة التي اصبحت باردة القلب..فلتبدأ المواجهة بين المرأة والرجل من المحيط الى الخليج..

لابد ان تستخدم المرأة العربية كل اسلحتها ضد الرجل، فهي خبيرة في ذلك.. وحتما سيحدث التفاهم حول القضية المركزية ..فالتفاهم من خلال المرأة يكسر الحواجز ويحطم القيود، فهي ادركت ان الخطر القادم سيفرق بين قلب وقلب وبين روح وروح ولن تترك الرجل وحيداً مهزوما مفرطا فيها، بعد ان ذاق معها اجمل العواطف واصدقها.

وقـــد اطـــلقت قمة القاهرة مطالب المرأة في كل الاقطار العربية، واخذت في الاعتـــبار امـــوراً ثلاثة وهي ان دور المرأة ان تجمع لا ان تغرق وأن قضاياها هي قضايا المجـــتمع بأســـره، وان التـــنمية الشاملة مدلول بشرى اجتماعي، وهنا يبرز دور المرأة باعتبارها حارسة القيم الثقافية ومربية الاجيال.

انها اول قمة للمرأة العربية وان جاءت كلمات نساء الحكام العرب اكثر اقتراباً مـــن كلمات ازواجهن الرؤساء والملوك في قمتهم الطارئة، يبقي الامل في نساء العرب جميعـــا لينتفضـــن من البيوت اعتزازاً بالام الفلسطينية الصابرة المرابطة.. يحركن البيات الشـــتوى وحالـــة السكون.. وكيف لا وقد اثبتت المرأة العربية انها الدعامة الإنسانية الأخطر في وجودنا اليوم.

أن المـــرأة العـــربية وقت الازمات تملك شحنة من الانفجار والغضب يرتجف امامهـــا كثير من الرجال.. وهي ليست اقل اقتحاما لمواقع الظلم من المرأة المجهولة التي دقت على طبله دقاً عنيفاً ليجتمع حولها عدد كبير من النساء وقادت أول مظاهرة نسائية

في الـــتاريخ أيـــام الثورة الفرنسية .. وكان هدف هذه المظاهرة هو القبض على الملك لويس السادس عشر وزوجته مارى انطوانيت ونقلهما الى باريس .. فقد كان وجودهما في قصر (فرساى) بعيداً عن العاصمة الفرنسية مصدراً من مصادر القلق الذي يخيف قادة الثورة الفرنسية وجماهيرها المختلفة من التآمر على الثورة.

ان قمـــة القاهـــرة بمثابة دقة على طبل.. بدأ اللدقات نساء الحكام وسيكمن المشوار نساء العرب.. وعلى نفسها جنت براقش..ان كيدهن عظيم !!!

قصيدة تمنع الطلاق ..!!

في روايـــة (سيرانو دى برجراك) المعروفة تحب البطلة فتاها لأنه يقول لها شعراً جميـــلاً، ثم تكتشـــف بعـــد ذلك ان الذي يقول الشعر هو صديق للشاب الذي يحبها، ولذلـــك فهـــي تترك الحبيب الأول وتنتقل بقلبها وعواطفها كلها الى (سيرانو) الشاعر الـــذي كان يقول فيها اجمل القصائد، فقد كانت اشعار (سيرانو) هي الطريق الى قلب المرأة، وهي العطر الجميل الذي جعل الفتاة تحب وتعيش في أحلام الهوي الرائع.

ورغم ان (سيرانو) كان قبيحا ذا أنف كبير، إلا أن اشعاره جعلته في عين فتاته أجمل الرجال .. وفي مسرحية شكسبير المشهورة (روميو وجولييت) يقف (روميو) تحت شـــباك (جوليـــت) في ضـــوء القمر ليغنى لحبيبته اجمل الاشعار.. وتزداد فتنة جولييت بحبيبها.. بعد ان سمعت منه هذه الاشعار الجميلة .

احيانـــاً نتساءل : هل يمكن ان تكون قصيدة الشعر طريقا الى قلب الرجل او المـــرأة ؟ او هـــذا هو ما تقوله الروايات والمسرحيات فقط بينما يعتمد واقع الحياة على اشياء اخرى لا علاقة لها بكلام الكتب ؟

هـــذا السؤال وجدت اجابته في قصة واقعية حدثت في مصر في القرن الماضى كـــتب عـــنها الاستاذ رجاء النقاش.. انها قصة طريفة حقا، ولكنها الى جانب طرافتها تؤكـــد ان قصائد الشعر يمكن ان تكون وسيلة (واقعية) فعالة للحب والسعادة الزوجية، ويمكن ان تمنع كثيراً من المشاكل وعلى رأسها الطلاق..

انهـــا قصة سيدة مصرية كانت متزوجة من ضابط شرطة كبير، ولكن الزوج هجر زوجته فجأة وابتعد عنها وأخذ يفكر في الطلاق منها وانهاء حياته الزوجية معها.

وفكـــرت الزوجة التي كانت تحب زوجها أشد الحب..ماذا تفعل في هذه المحنة التي تواجهها، هل تنتظر حتى تتلقى ورقة من زوجها تقول لها: انت طالق ؟ هل تكتفي بالبكاء والدموع، ومواجهة المصيبة بموقف سلبي ؟

لقـــد كـــان هـــذا هو الحل الشائع، وخاصة في تلك الفترة المبكرة من حياتنا الاجــتماعية ، حيــث كان الزواج هو المأوى الاقتصادى الاساسي للمرأة ، وكان هو المأوى العاطفى الوحيد ايضا، وكانت هذه السيدة مثقفة ، تقرأ بكثرة، وكانت شاعرة تكتب الشعر لنفسها، وان لم تكن تنشر هذا الشعر ، فظروفها الاجتماعية لم تكن تسمح بذلك على الاطلاق..وعندما واجهتها المحنة قررت ان تستخدم سلاح الشعر .. قررت ان تكتب قصيدة تستميل بها قلب زوجها وتناقشه فيها وتدعوه للعودة اليها، فهي حبيبته التي اخلصت له ومنحته حياتها وقلبها، وما زالت تفكر فيه بكل عواطفها.. رغم البعاد والهجران.

وارســـلت الشـــاعرة هــــذه القصيدة الى احدى المجلات الادبية في ذلك الحين ووقعــــت القصيدة بأسمها الكامل.. وجعلت عنوان القصيدة صريحا وكان العنوان :(الى زوجى الفاضل) الذي ذكرت اسمه ووظيفته.

تعـــاطف الرأى العام اشد التعاطف مع القصيدة بعد نشرها وكتب اليها عدد كـــبير من النساء يساندنها عاطفيا ومعنوياً.. وتنتهي القصة نهاية سعيدة، فقد عاد الزوج الى زوجـــته الشـــاعرة وذلك بعد أن قرأ قصيدتها الشاكية الحزينة، ولعله تأثر بالضغط المعـــنوى الذي مارسه الرأى العام ضده في قصائد اخرى نشرها اصحابها تأييداً للزوجة وهجومـــا على الزوج، وربما كان نشر قصيدة الزوجة سبباً في أن الكثيرين من اصدقاء الـــزوج قـــد تعاطفوا معها وهاجموه واحرجوه واعادوه الى طريق الصواب.. المهم ان القصـــيدة منعت الطلاق واعادت السعادة الى البيت الذي كاد ينهدم.. وعادت الزوجة

وكتــبت قصــيدة جديدة بعنوان :"الحمد لله" تسجل فيها عودة زوجها وتشكر الذين وقفوا بجانبها نثراً وشعراً.. وهكذا يبقي لِلشعر سحره.

الوصول الى من يصعب الوصل إليهم !!

متشـــردان موهوبـــان مليئان بالأحلام يعيشان معاً.. دخلت معهما في حديث طويـــل تذكرت خلاله ما قرأته عن مبدعين في زمن مضى عاشوا أحزان الحياة وضنك العيش والفقر ولكنهم قهروا تلك الأحزان ودخلوا التاريخ من بابه الواسع.. فهل يا ترى خـــرج من احزان هذا الزمن مبدع.. وهل يستطيع ذلك ؟؟ وهل تؤدى هذه الطريق في الحياة الى نتائج ايجابية في يومنا هذا ؟؟

والـــتفت فجـــأة الى متحدثى المتشردين وإن كان الأمر قد ينتهي بهما الى ان يصبحا ضحيتين من ضحايا هذا الزمن القاسى .. بل ربما كانا اشهر ضحاياه..

هـــناك مـــن يقول ان مشروع المبدع الحقيقي إنسان حساس ينظر الى الحياة والـــناس بقلبه وعاطفته، ويحب ان يعيش في عالم يسانده ولا يعانده.. وبنظرة عابرة إلى الاطفـــال المتشردين في هذا الزمن نجدهم قد انهزموا في صراعهم مع الدنيا، ولم يتحملوا لهيـــب المعـــركة المستمرة مع المتاعب والمنغصات.. بعد ان تعرضوا للمحنة بعد المحنة في رزقهم ورزق اهلهم الذين قذفوا بهم الشارع العام.

ان المجـــتمع اليوم ليس مفتوح الصدر للموهوبين الفقراء ... انهم عندما كانوا اجنة في بطون امهاتهم يستعدون للحياة لم تكن الحال في أسرهم أسعد عندما جاءوا الى الدنيـــا...فقد كانت الهموم والمشاكل هي الغذاء اليومي لهذه الاسر البائسة فمن منهم يكتشـــف حقيقة نفسه ويدرك قيمة المواهب الكامنة فيه بعد ان تجمعت الاحزان على القلب الصغير الموهوب !

في هـــذا الـــزمن بايقاعـــه الســـريع لن تتكرر نزعة انسانية فياضة كالتي حدثت عند "تولســـتوى" وســـيطرت عليه تماماً، واصبح يحلم بان يعيش مثل الناس العاديين الفقراء

ويـــتعذب مثلهم ويكسب قوته بيديه كما يفعل الاخرين، ويترك القصور الفاخرة التي يســـكنها هـــو واســـرته ليقيم في الاكواخ الفقيرة الخشنة التي يعيش فيها الفقراء!! لقد اكتشف "تولستوى" فجأة انه لا يستطيع العيش سعيداً وملايين الناس من حوله أشقياء تعساء.. كان يحلم بالعدل وكان قلبه مليئاً بالرحمة، وكان يتمنى ان يرى عالماً إنسانياً لا يتعذب فيه الانسان.. فإين نحن الذين نتلبس دينا ديدنه العدل والانسان ؟؟

يقول تقرير "مسيرة الامم ٢٠٠٠" الذي اصدرته منظمة الامم المتحدة للطفولة: "يواصـــل الفقـــر استرقاق اعداد هائلة من السكان حارما ١,٢ بليون نسمة، من بينهم ٦٠٠ مـــليون طفل من الصحة الجيدة والحياة المنتجة.. وعلى العالم، ان اراد تغيير هذا الوضـــع المؤلم، ان يبدأ بالاطفال، لكى يضمن لكل واحد في المائة والثلاثين مليون طفل الذين يولدون كل عام، افضل بداية ممكنة للحياة.

نـــادراً مـــا نسمع عنهم وبالكاد نراهم، إنهم مئات الملايين من الاطفال الذين يعـــانون مـــن انتهاكات جسيمة ومتعددة لحقوقهم، ومن بينهم ملايين الاطفال الذين يعملون في المزارع والمصانع، والذين وقعوا فريسة للاستغلال الجنسى التجاري.. ومنهم الاطفـــال المجـــندون،وملايين الاطفال الذين لم يسجلوا عند ولادتهم ،، ومنهم الاطفال الذيـــن لا تتوافر لهم مياه الشرب النظيفة ولا التعليم.. ومنهم الاطفال غيرالمحصنين ضد الامـــراض وملايين الاطفال الذين يعيشون في الشوارع.. ان محنة هؤلاء الأطفال تتطلب أكثر بكثير من الرد الصامت الذي حصلت عليه حتى الأن من المجتمع الدولى الذي يقيم الدنيـــا ولا يقعدها إذا سقطت طائرة ركاب ومات جميع ركابها في حين انهم لا يتعدون مائة ونيفا..

ولـــلوقوف عـــلى حجم هذه الاعداد تخيل بلداً عامرة بالسكان، كالولايات المتحدة ، حيث يتكون جميع سكانها من عمال أطفال، ثم استطرد في التخيل بانه يوجد

ضـــمن هـــؤلاء الســـكان طبقة أدنى من الاطفال يفوق عددهم تعداد سكان فرنسا او بـــريطانيا يعمـــلون في ظروف تقعد اجسادهم وتوهن أذهانهم، وتعيق نموهم، وتقصر اعمارهم.

لا يســـتطيع احد تحمل هذه الاوضاع المستنكرة، لو انها كانت مرئية ومتركزة في مكـــان واحد .. إلا أننا نستمر في تحمل هذا الوضع، بشكل خفي ومتشتت، الأمر الذي يثير شعورنا جميعا بالخطر والعار..

وتـــركت الاثـــنين المتشـــردين ليشرد تفكيرى في متى يجئ الوقت الذي يخرج فيه جميع **الاطفال الضائعين في** مثل هذه المتاهة الخطيرة الى مستقبل اكثر اشراقا؟؟!!

إنهم على موعد مع الشمس

الغـــارات الأمريكية مخيفة، والآلات الالكترونية التي يستعملونها مروعة، ولكن ذلك لن يوقفنا إذا انتزعنا عقدة الخوف التي سيطرت علينا، فالعدو الصهيوني يرتعد خوفا ويعيش في دوامة من الخوف لا يستره إلا خوفنا وقد عرف (حزب الله) في لبنان نفسية العـــدو تمامـــا. ولكن من يقنع هؤلاء الحكام الذين يرتجفون على عروشهم، عين على علاقات مفروضة مع العدو والآخرى على واشنطن الوصية على قرارهم باياديها الممتدة الى ديارهم، وبالرغن من ذلك تظل فلسطين داراً تذكرهم بإرادتهم المنقوضة دائما، لقد جعلـــتها الأيام على التوالى تعيش ملحمة بطولة مجيدة، تتمثل في مقاومة شباب وأطفال وسط مذابح رهيبة تصدت لها امرأة فلسطينية تمسك بكفنها وتدعو الى استمرار انتفاضة الاقصـــى، انهـــا قمة الصمود والتحدى لا قمة ليست لديها أفكار لها القدرة على تغيير شكل الدنيا او التأثير فيها، وربما كان اصدق ما يمكن ان يقال عن شباب الانتفاضة ان العواصـــف من حولهم اقوى من طاقتهم وان مشاعرهم تمزقت بين الذين يحبونهم وبين الذين يخونونهم، وعندما نختار الخونة علينا ان ندفع الثمن.

ان وصية شهداء الانتفاضة تقول إن ارواحهم لن تهجع قبل ان تتحرر فلسطين كـــلها، إن هذه الوصية سوف تظل دافعهم في الارض المحتلة حتى يحققوا لهم ما ارادوا، كمـــا ان الواقـــع يقول ان التطورات الأخيرة في الارض المحتلة تؤكد انه ليس لدينا من نعـــتمد عـــليه في تصحيح الأمور غير شباب الانتفاضة، طالما ان حكامنا يبدو لهم ذلك بعيـــداً وسط شواغلهم، وقديما كنا نتساءل هل بعد حل مشكلة فيتنام، ان الدور سوف يجئ عـــلى مشكلة الشرق الاوسط، وفي كل مرة كنت اقول : ان الذين يحلون المشاكل ليست لديهم قائمة منظمة بها، يفرغون من واحدة ويلتفتون الى اخرى، المشاكل تطرح

أو تفــرض نفسها ولا توجد مشكلة تدعي الى الاهتمام العام بورقة دعوة، كأنها مأدبة غداء أو عشاء!!

وفي احــدى المرات سأل احد زعماء آسيا الكاتب محمد حسنين هيكل : الا تتصــور ان ازمة الطاقة قد تدعو الولايات المتحدة الى الاهتمام بازمة الشرق الاوسط؟ فقــال هيكــل : وما الذي يهدد هذا المخزن من وجهة نظرهم.. هو موجود في مكانه وأبوابه مفتوحة لهم !!

قــالت الصين في حرب "فيتنام" : اتركوا الولايات المتحدة تصعد.. ليصبح لها نصــف مــليون جــندى، او حتى مليون جندى في "فيتنام"، في النهاية فإن هذا الجيش الامريكي سوف يصبح رهائن على الأرض الآسيوية، وذلك يجعلهم بالنسبة لنا بوليصة تــأمين، ذلــك سوف يجعلهم يحاذرون ويحرصون على حصر ميدان القتال، وليس على توسيعه كما يتصور البعض، لأنهم إذا أقدموا على تصرف من شأنه أن يؤدى الى تدخل الصــين، فإنهم يعرفون أننا نستطيع أن نقذف الى الميدان بملايين بعد ملايين من البشر، وســوف تســتطيع ملايينا ان تبتلع الأفهم، أو حتى مئات الألاف منهم وهم يفهمون ذلك.

وقــال الشعب العربي : إن تورطهم بالتصعيد مفيد لنا فاتركوهم بدلاً من ان تتركوا بضعة ملايين من اليهود يبتلعوننا جميعا، ان تدخلهم بغير وجه حق يعطينا الفرصة للــتأثير في مجــتمعاتهم، لانه لا شيء يقلق أي مجتمع من المجتمعات مثل ان يرى نفسه ينزف، وينزف كل يوم على ارض بعيدة!!

وقال الحكام المترددون الذين يخافون حتى من اذاعة (صوت امريكا) : ان اكثر ما نخافه هو ان تضرب الولايات المتحدة من بعيد ولا يكون في متناول سلاحنا، او حتى أظافرنا ان تطول لحمها الحى ونعرض لحرب إبادة جماعية !!

وجــاء صــوت الانتفاضة يردده صدى ملايين العرب والمسلمين: ان الإبادة مســتمرة في فلسطين منذ نصف قرن فلنرتفع الى مكانة اخرى ونصبح ضوءاً يشع من بعيد، وعلينا ان ننزل في شبكة الخنادق المحفورة استعداداً للحرب، وأخيراً قلت في نفسى : لابــد ان ذلك سيكون منظراً مثيراً ، الصحفيون يرون أحياناً مشاهد مثيرة لا يستطيع غيرهم ان يراها !!

القمة .. الصعود إلى الهاوية !!

للأديـــب والمفكر الإنجليزي المعروف الدوس هكسلي عبارة جميلة صادقة يقول فيهـــا : "أن العـــنف يغـــري بالعنف وكل شيء ينهض على العنف لابد ان يذهب به العـــنف".. وفي هـــذه الكلمات تصوير آمين لدور العنف على مر الأزمان والعصور، فمعظم الذين لجأوا الى العنف خسروا كل شيء.. وخسروا انفسهم في آخر الأمر.
الكـــبان الصهيوني الذي قام على العنف ما زال مستمراً فيه.. وقمة القاهرة التي قهرت الشعوب وفتحت الباب لمزيد من موجات العنف الصهيوني، ولذلك وصفها باراك بأنها انتصار للعقلانية.. قال ذلك لأن الذين يلجؤون إلى العنف يحاولون دائما إقناع انفسهم واقـــناع الآخرين بأنهم يفعلون ذلك من أجل قضية أو مصلحة عامة تحقق الخير للناس.. وبالرغم من ان الشاعر الفلسطيني لم يهدأ أثناء القمة وبعدها.. كانت رسالته أن العنف ليس حلاً.

ويحدثنا التاريخ بكثير من التفاصيل عن جماعات ظهرت على مسرح الدنيا بأنهم لجـــأوا الى العنف وكانوا صادقين كل الصدق في ما أعلنوه من أنهم يدافعون عن الخير والعـــدل، ويحـــاولون القضـــاء على الشر والظلم، غير أنهم لم يلتفتوا الى حقيقة بسيطة ولكنها في نفس الوقت حاسمة وقاطعة، وهي أن الأهداف الطيبة لابد أن تتحقق بوسائل طيبة ايضا، فإذا كان الهدف شريفا ونبيلاً وكانت وسيلة التحقيق سيئة اضطربت الامور وارتـــبكت النـــتائج، وحتى لو تحقق بعض النجاح للأهداف المنشودة، فإن هذا النجاح يكون شديد المرارة وغالي الثمن.

انفضـــت القمـــة من الصعود الى الهاوية وتصاعدت انتفاضة الفلسطينيين ضد العـــنف وأستمر الصهاينة الذين يؤمنون بالشر، يتمسكون بآلة العنف للإطاحة بالإرادة

المشـــتركة للجـــنس البشـــرى.. يؤمنون فقط بإن تكون القوانين من صنع الاقلية ظالمة للأغلـــبية، بينما دعاة السلام من حكامنا يتناسون انه لا يمكن ان يتحقق بقوانين ظالمة.. بـــل لابد له من قوانين عادلة تحفظ المصلحة المشتركة وتوفر التوازن الصحيح بين سائر البشر.

إن العـــنف اصـــبح فكـــراً مقدساً عند الصهاينة، يشبه الايمان الديني، لا يقبل الشك، ولا يحتمل التردد في الدفاع عنه، بل اصبح فكراً احادياً لم يستطعوا ان يهتدوا الى وســيلة غيره، اصبح على الدوام قاطعاً مثل السيف الحاد يثير الرعب في النفوس، يقترن بالنزعة الدموية للصهاينة الذين اصبحوا وحشا تاريخيا مفترسا خاليا من أية صفة إنسانية، تســتدعي على كل أمة نبيلة فخورة بحريتها ان تعلن أنها لا ترغب في ان تهين احداً كما انها لا تطيق ان يلحق بها احد أية إهانة.

الحقيقة المؤلمة في تاريخ الإنسان هي ان العنف كان ولا يزال يلعب دوراً اساسيا في كـــل تغيـــير سياسي واجتماعي كبير، ولكن العنف الصهيوني لا مثيل له فقد وصل القمـــة، ويظل درس التاريخ الاكبر يقول لنا ان العنف يدمر كل شيء في طريقه ، حتى أصحاب العنف أنفسهم.

الفلسطينيون اصبحوا اسرى في دائرة العنف..وحتى الاختيار الذي يتحدث عنه الـــناس ليـــس له وجود في حياتهم ويفتقده اطفالهم الأبرياء.. وهذا يذكرني بتلاميذ من فلسطين طلب منهم احد معلمى اللغة العربية كتابة موضوع إنشائي وهو : ايهما تفضل، حيـــاة القرية، او حياة المدينة؟ .. ولم ينتبه هذا المدرس أبداً الى ان معظم تلاميذه كانوا يعيشون في المخيمات ، لا في القرية ولا في المدينة.

هـــذه القمـــة لن تكون الاخيرة طالما هناك قضية كبيرة وحية وغنية باحداثها اليوميـــة المتواصلة.. انها معضلة الحكام العرب لا مفر منها إلا اليها.. انها مأساة الإنسان

الفلسطيني في المخيمات، وفي الأرض المحتلة، وفي المنفى حيث يبحث الإنسان الفلسطيني عن رزقه في ظروف بالغة القسوة والمشقة والصعوبة بعيداً عن أرضه ووطنه، داعيا بقوة للإيجابية والدق على أبواب كل العرب والمسلمين من أجل الخلاص والتحرر.

شرم الشيخ .. وشرخ الشيوخ !!

الذي لا شك فيه، وبرغم المجزرة في فلسطين المحتلة، وحجم النازية الصهيونية، برغم الحزن العميق الذي هز الشارع العربى المنتفض، وشرم الشيخ، فإن شباب وشيوخ وأطفال الانتفاضة قد رددوا : المعركة مستمرة.. سننتصر.

الـــذي لا شـــك فيه ان الشارع العربى قد ردد من خلال الألم ذات الشعار : المعركة مستمرة.. سننتصر.. هذا هو الهتاف الذي عمقته الصهيونية في وجدان الشعب العربى بحرب الابادة، وخلقت شيوخ الانتفاضة لا شرخ الشيوخ.

ببداية النهاية للأسطورة الصهيونية.. كانت شرم الشيخ نكسة، ولكنها أبرزت الأصـــرار الذي يؤمن بحتمية الانتصار ضد العدو وحتمية استمرار المعركة من اجل تغيير الواقع المهزوم لمصلحة اصحاب الحق.. قادوها حربا شعبية اصيلة غرست جذوراً في غزة واريحا ونابلس، ورغم القوة العسكرية الضاربة للعدو انطلقت الانتفاضة تحقق انتصاراتها وتـــتعمق أهدافهـــا رغم قرار شرم الشيخ بوقفها، وعبثا يحاولون ذلك في غفلة سياسية كبرى.

ان وقـــف الانتفاضة سرعان ما يظهر نوايا العدو وأعوانه، ستتوالى الانتهاكات والتدمير اشد عنفا وإيلاماً وأكثر سفوراً، أكاد اسمع شيخا منتفضا يقول : ألم نقل لكم ؟؟ ولكن لن يسمعه شيوخنا الذين احدثوا الشرخ فينا.

لمـــاذا اصبح للشرم شيخ واحد يدخلنا دائما في غرفة الهزيمة والاستسلام؟ أين الشـــيوخ الآخـــرون وسط الملايين ؟ ليس في استطاعة احد غيرهم ان يتمثل واقع تلك الـــتجربة المأســـاوية لشعب انتزع انتزاعا من على أرضه، قتلوهم ثم اسروهم، ثم سيقوا زرافـــات ووحدانا الى حياة عجيبة في شريط غزة واريحا، لم تكن أبداً مجرد خاطرة، او

حلما، او حتى كابوسا يطوف بخيالهم من قبل. أين الشيوخ الأخرون وهم يرون الملايين مـــن هـــؤلاء في المنافي والمعسكرات على مرمى حجر من تراهم.. حتى قالوا افتحوا لنا الحدود كما فتحتموها لنا من قبل خروجاً .. كما انه ليس في الاستطاعة تصور بشاعة الظروف والوان العذاب التي عاناها اولئك الفلسطينيون ..تعساء الحظ.. الى متى تنظرون الى شرم الشيخ ذلك الذي فيه يحاول العدو وأعوانه ترويضهم ..اقصد انتزاع احساسهم الفطرى بالحرية وارغامهم على الاقتناع بقدر العبلوية اللانهائي الذي فرضته عليهم إرادة الصهيونية في غياب إرادة شيوخ العرب والمسلمين.. ومازال الشرخ الذي صنعوه يكبر ويتسع !!

ويقـــف التاريخ مشدوها عند احد أيام اكتوبر في شرم الشيخ .. فقد كان يوم الـــبيع في أول مزاد علني.. نعم ذلك بالتأكيد هو ما يريد تحقيقه الشيخ في شرمه.. يريد اسكات الصوت المثقل بهموم القضية، ولكن يظل ومازال الحجر في يد طفل اشد التماعا ووهجا في عناقه التاريخي الحار لقضايا النضال الإنساني دون استثناء.

ان الشـــيوخ المشـــروخين لاهـــم لهم سوى ان يروا اعداداً متزايدة تنضم الى الموكب، مطاطئة الرأس ، لا يدفعها سوى الاذعان والطاعة فحسب؟ ان تلك الغفوة في حقيقتها، مظهر من مظاهر الاحباط وخيبة الامل، فدلالاتها الحقيقية سلبية: سخط ونفور على الاوضاع والقائمة، وعجز عن الاهتداء الى طريق جديد.. والشيوخ لاهم لهم سوى احـــداث المـــزيد من الشروخ ويلتقى شرخ الشيخ بنظيره شرم الشيخ ينتظران الحب في طابا!!

في شرم الشيخ دائما تكون النتيجة هي الارتماء في احضان ذلك الطريق القديم المجـــرب، طريق المفاوضات في الحمامات، وممارسة العادة السرية في الانهزام بدلا من ان

ننهض في وجه عدونا المشترك.. نظهر له شجاعتنا، رغم تفوقه العسكرى.. ومقابل الف ضربة منه.. نوجه له الضربة القاتلة.. وحتى لو اشرفنا على الموت.. لكننا نقاوم .

شـــرخ الشـــيوخ الذي اصابنا لن يندمل طالما هم يعتبرون قولك بجعل الثقافة والتصـــالح مـــع الشارع قاعدتين اساسيتين للنهوض هو قول يمثل خطراً ضد أمن العدو الصهيوني ، وهي تهمة يمكن ان تقود الى حافة الهاوية.

كـــتب ادونيـــس يقول:"ان العصفور الذي يضرب الهواء بجناحيه لكى يطير يتصور انه لو لم يكن هناك هواء لكان طيرانه أسهل، والحقيقة انه لو لم يكن هناك هواء لمـــا استطاع ان يطير".. وقد علق محمود العالم على هذا التصوير قائلا بإنه لا سبيل الى الـــتقدم والابداع في فراغ، ولا سبيل الى التقدم والى القطيعة الجدلية الحقيقية ، الا من خلال الذاكرة التراثية فلكى نطير ابعد من الهواء ولكى نتجاوزه، لا نستطيع ذلك إلا من خـــلال الهـــواء وبفضل الهواء وعلى الرغم من هذا الهواء، فهل احدثتم شرخاً في الهواء أيضا؟؟؟

عندما تخاف الجزر من هيجان البحر !!

كيــف حــلت احتكارية المهن من خلال التعليم في تدرج حتمي محل التربية العامة الشاملة والمتكاملة ؟.. سؤال جعلني أبحث عن الاجابة عنه ليكون مولداً للنقاش في "مقبل الأمس" وبالطبع كلفني ذلك بحثا وقراءة.

لقــد بدأت احتكارية التعليم بظهور حرف ووظائف اجتماعية متخصصة في داخــل القبيلة، تقوم بأدائها عائلات بعينها، ومع مرور الزمن، حرصت هذه العائلات عــلى الاحتفاظ بقدراتها، ومعرفته احكراً عليها، واستخدمتها لزيادة نفوذها الاجتماعي ودخــلها المــادي مؤمنة لنفسها بذلك وضعاً اجتماعياً متميزاً.. لهذا شاهدنا عند قبائل كــثيرة، ان المقدرات الحرفية اصبحت سراً يحافظ عليه في حرص شديد، بل صار بعض الحرفيين لا يعلمون حرفهم إلا لابنائهم.

لعــل أول المهــن الــتي انتقلت الى عالم الاحتكار هي مهن الحدادة والطب والكهــنوت.. وقد ذكر "فيكس" في كتابه "ثلاثون عاماً في الكنغو" ان للحداد مكانة اجــتماعية عاليــة عــند القبائل الزنجية في الكنغو، وكتب يقول : للحدادين في القبائل الكــنغولية مكانة اجتماعية عالية وذلك منذ زمن بعيد.. فأهل الكنغو يعتقدون اعتقاداً جازما بأنه ليس على الحداد أن يكون ماهراً وذكياً فقط وإنما يجب عليه ان يمتلك ايضا قــوى سحرية تساعده على تحقيق النجاح في عمله، والحدادون يعلمون أبناءهم أو أبناء أخواهم مهنتهم لكنهم لا يقبلون تلميذا غريباً مهما كانت الظروف .

ولعله من الطريف ان نذكر في هذا المجال ان صهر الحديد وصناعته في مقاطعة "ميناســى" في قــلب الــبرازيل، كان يقوم بها ولعشرات السنين ليس الطبقة البرتغالية

المسيطرة بل زنوج افريقيون جلبهم البرتغاليون من حملات الاسترقاق الكثيرة التي قاموا بها في افريقيا.

وقــد كتب باحث آخر: ان "القابلات" في زمن بعيد كن يحافظن في حرص شديد على اسرار مهنتهن ولا يفضين بها إلا لبناتهن لأن هذه الأسرار في اعتقادهن تعتبر ملكاً خاصاً للعائـلة فقط بل مضت بعض القبائل الى حد بعيد، في فرض احتكارية التعليم الى حد عدم السماح للفقراء بتلقى أي نوع من التعليم، وبرزت طبقات في آسيا وافريقيا اصبح التعلـيم قاصرا عليها، لقد اصبح الاغنياء وحدهم حملة الفكر، ولهذا حرصوا على تربية أبنائهم ، ومنذ نعومة اظافرهم على تحمل وأجبات القيادة يتلقون تعليما خاصاً بهم، بينما يتـلقى عدد قليل من أبناء الفقراء تدريباً خاصاً يؤهلهم للعمل كموظفين صغار فقط، وأتسـعت الفجوة بين أنماط التعليم هذه حتى صار التعليم معياراً عاماً للوضع الطبقى، وكـانت الفئات الوسيطة – حتى في تلك الأزمان الغابرة – تبذل كل جهدها لتخطى حدودها الطبقية عن طريق المؤسسة التعليمية.

هـنا أدركت ان دول الشرق القديمة لم تتقدم لأنها لم تستغل الإنسان استغلالاً جيـداً، واكـتفت به عاملاً في مجال الزراعة وخادما في المترل، وليس بمستغرب إذا، ان التعلـيم ومؤسسـاته قد تطور كما وكيفاً في اليونان وروما، على نقيض ديكتاتوريات الشرق القديمة.

نشـاهد اليوم في ذات الشرق حرص الأنظمة على اضعاف الكفاءة الفكرية عند الفقراء والعامـة، واهتمت على تعويدهم الرضا بالحال والطاعة للأمر، لأن عدم إطاعة الفئات الدنيا للفئات العليا، هو بداية الفوضى !! ان الجزر تخاف اكثر ما تخاف من البحر !

هذا ما كان عبر الأزمان.. ولأننا لا نملك ذكريات مباشرة عن فترة سابقة، ما أشـبه اليـوم بالبارحة، فالتعليم الذي اصبح مكلفاً صار صعب المنال للفقراء، ومازال

اضـــعاف الكفـــاءة الفكـــرية للإنســـان سائداً، والشرق الذي انهزم إنسانه في انتظار "سبارتكوس" قائد اكبر انتفاضة في المجتمعات القديمة ادخلته التاريخ الإنساني، وقد قال عـــنه كارل ماركس: لقد كان شخصية نبيلة، وممثلا حقيقياً للبروليتاريا القديمة، عندما طالب بالتعليم للجميع بعيداً عن الطبقية.

إبليس الرأسمالية الذي أخرج الشيوعيين من الجنة !!

في أيـــام المـــد الشيوعي كتب حسين احمد امين – الدبلوماسي المصرى ونجل المحقـــق العالم الاستاذ احمد امين – يقول :"انه في ظل نظام كالنظام الشيوعي الذي لا مكان للدين في فكره العلمى، اصطبغ الايمان بالمادية الديالكتيكية بصبغة الحماس الديني، واتخذت الاجتماعات والاستعراضات سمة الاحتفالات والمواكب الدينية، وأحيط وأضعو النظرية ومؤسسو الدولة بهالة دونها هالة القديسين والرسل.. فهم يوصفون بالخالدين أو بالشمس التي لا تغرب.. وهاهي صورهم وتماثيلهم الضخمة قد حلت مكان الايقونات والـــتماثيل الدينية تطل على الجماهير في الساحات وكافة المباني العامة، وعلى الأفراد في مساكنهم الخاصة، وهاهي قبورهم وقد تحولت الى مزارات مقدسة تحج اليها الملايين من البشر تصطف الصفوف خارجها لساعات طوال من اجل إلقاء نظرة.. اما كتبهم فهي بمثابة الكتب المقدسة..

وكنا وقتها ننظر الى صبغ النظرية العلمية بصبغة تقديسية هي أبعد ما تكون عن التحـــليل المـــادى.. وأقـــرب ما تكون للعقيدة والدين.. ولا شك في ان الذي يحمل الماركسيين على هذا مع كل دعاواهم العلمية، هو وعيهم بان العامة لا تفهم من الاشياء إلا المحسوس لعجزهم عن التجريد العقلى، ولهذا ذهبوا الى وجدان الناس لاضفاء صفات القدسية لا على الأفكار فحسب، بل وعلى الرجال الذين يحملون هذه الافكار.

وكـــنا نـــرى وقـــتها ان الماركسية لا تختلف كثيرا في شكلها الميثولوجي عن الأديـــان.. فللماركسية نبى لا يأتى حديثه باطلاً من بين يديه ولا من خلفه، هو كارل مـــاركس، وفكـــر النبى هذا فكر صمدى يعتبر الخروج عنه تحريفا، كما عندها شيطان رجيم هو مصدر كل السوءات، الا وهو الرأسمالية، ثم مبتغى أهلها في النهاية جنة وارفة

الظـــلال هي المجتمع الشيوعي الذي يكدح الكادحون له كدحا فيلاقوه.. ولكن ابليس الرأسمالية كان يعمل بجد واجتهاد حتى أخرجهم من الجنة التي كانوا في طريقهم لها قبل الانهيار.. وكان اهل الاسلام السياسي لا يملكون امام الماركسيين إلا وصمهم بالالحاد، فقـــط لانهم لا يملكون من حضارة الاسلام إلا اللحى.. ولم يتوقفوا امام الحرية الفكرية المتراحبة التي اتاحت لرجل مثل الدكتور اسماعيل مظهر ان يكتب على صفحات احدى الحوليـــات مقالا بعنوان:"لماذا انا ملحد ؟" فيرد عليه شيخ ازهرى لا بالتكفير بل بمقال عالم مستوثق عنوانه "ولماذا انا مسلم ؟".

لقـــد سيطرت الرأسمالية اليوم في صورها الاستغلالية العتيقة، وابتدعت كل ما يخدم سيطرتها على الضعفاء. ويواصل شيطانها الرجيم نشاطه، ولكن خصومه اليوم هم فقراء العالم.. "يا فقراء العالم اتحدوا"..

لكـــن دعـــك من هذه الأممية ولننظر الى عدد الفقراء المتزايد في عالمنا العربي والإسلامي الذي حاصرته الرابطة العضوية بين فساد الحكم والانفاق التبديدي. وما طرأ عـــلى هذه المجتمعات بعد ان فسق فيها مترفوها!!..وفي قراءتنا للتاريخ لن نعود بالقارئ الى أفكار كارل ماركس، وفريدريك انجلز، وانما نعود به إلى إبن خلدون وهو يتحدث عن انهيار الدولة الإسلامية.

يقـــول إبن خلدون :"ان الامة إذا تغلبت وملكت ما بأيدى اهل الملك قبلها، كـــثر رياشها ونعمتها، ويتجاوزن ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته.. ويـــتفاخرون في ذلك ويفاخرون غيرهم من الامم في أكل الطيب ولبس الانيق وركوب الفاره".

والـــذي يصـــفه ابن خلدون هو ظاهرة اجتماعية معروفة اسمها "الانحلال" .. وليت ابن خلدون بيننا اليوم ليرى !! فأهل الاسلام السياسي فارقوا الصواب حين قالو

لنا بإن النمط الاستهلاكي تلغيه الرموز الدينية او تحول دونه الإشارات للعقيدة الإسلامية في الخطـــط الاقتصادية، لإنهم يفتقدون الجوهر الذي لا يوفر الحقوق الاساسية للسائل والمحـــروم ..فالإنســـان عند الماركسيين عنصر عمل وطاقة إنتاج، وعند الرأسماليين أداة اســـتهلاك تقودهـــا المصـــلحة.. فهل ننتظر حلاً عند الفقهاء القاصرين وغلو المتاجرين بالدين؟

لا أعتقد .. لأن من تاجر بالشيء باعه !!

نهاية فوكوياما ..وفضحية فلوريد !!!

سئل شيشرون عن أعظم حكام روما فقال :"انه كانينو ريفيليو كان حاكما يسهر على راحة رعيته، فلم يذق النوم طيلة مدة حكمه وضحك السامعون، لان كانينو هذا حكم روما ليلة واحدة.

وفي يوم ثلاثاء من هذا الشهر اعلنت الولايات المتحدة التي تزعم انها ام الديمقراطيات فوز "بوش" لمدة ساعة ثم حبته بعد ان سحبته منافسه تهنئته وسحبت دول اخرى برقيات التهاني، ولكن تم توثيق الفضيحة ببعض الصحف التي خرجت بعنوان بارز:"بوش يفوز على آل غور" لتصبح من النسخ النادرة مثل مجلة "الدستور" التي تصدر في اتلانتا.. ودفع الامريكيون اكثر من بضعة دولارات مقابل الصحف التي اعلنت نتيجة انتخابات الثلاثاء.

الانتخابات الرئاسية الامريكية كشفت ان النظام الانتخابي في ام الديمقراطيات الغربية لا يخلو من عورات.. لقد صوت الامريكيون ويحاول النظام في اكثر من عشرة أيام أن يحدد بدقة ما يريده الناخبون !! ولكن اطباء وعلماء نفس امريكيون اعلنوا عن تسجيلهم لحالات "مرضية" اطلقوا عليها اسم "حالات التوتر والتوعك بعد الانتخابي" وذلك بعد ان تعرض الكثير من الامريكيين الى اشكال من القلق بسبب فقدان الثقة بالمؤسسات الامريكية.. وفي فلوريدا مسرح الفضيحة قال فيها المئات من الناخبين انهم وضعوا خطأ اسم مرشح آخر بسبب تصميم البطاقة الانتخابية.

وفي احدى شبكات التلفزة الأمريكية صاح المعلق بغضب:"ماذا حدث"؟ اظن ان هذا البلد قد فقد عقله.. كنا نخوض الحروب ونرسل الإنسان الى سطح القمر والآن نعجز عن معرفة نتيجة ورق مثقوب "!!

تمر الأيام والساعات ولا تعرف أمريكا أسم رئيسها الجديد.. ويقول كلينتون مازحا لصديقه له:"لا مانع لديه في البقاء في البيت الابيض ان لم تتمكن البلاد من تعيين خلف له".. وفي تلك اللحظات كان تعداد الأصوات مستمراً في فلوريدا.. وهناك من يبحث عن صوت في هذه الولاية او تلك.. واقول ضاحكا مع ابنى "رامي": الامريكيون لا يحسنون العد !!

اهم الاسئلة المطروحة في انتخابات الرئاسة الامريكية ليست من الذي فاز، ولكن الشكوك التي اطاحت بها.. فهل تم اختيار الفائز بعدالة؟ .. ان النظام الانتخابي الامريكي كله في خطر..وفقد مصداقيته... بعد ان أعتبرها فوكاياما نهاية التاريخ.. ان ما حدث أمر لن يمر بهدوء في مناخ واشنطن السياسي المسمم وفضيحة فلوريدا.

يسعى الساسة في امريكا الى طرد الانزعاج والطمأنة على ديمقراطيتهم السليمة، وقال متحدثهم في الخارجية بلهجة لم تخل من الضيق والانزعاج ان الانتخابات كانت نظامية، عادية، قانونية، واضحة، شفافة، ومكشوفة..ولكن الكبرياء الامريكي في عز الفضيحة لا يمكن ان يفكر في طلب أرسال مراقبين دوليين الى فلوريدا، كما طلبت واشنطن في الماضى بالنسبة لبيرو وهاييتى.

ما يزال الشك يسيطر على نتيجة هذه الانتخابات وغرقت البلاد بالفعل في أزمة سياسية وربما دستورية... ولكن من يجرؤ على الكلام.. من يقول ان امريكا في مرحلة أنعدام الوزن؟ سيقول الامريكان سادة هذا الزمان: لقد صوتنا ونحاول في هذه الأيام العشرة ان نحدد بدقة ما أراده الناخبون.. وسيقولون : رئيس الولايات المتحدة يجب ان يفوز خلال عملية انتخابية لا شك فيها، وهذا يؤدى الى الشعور بان الانتخابات كانت شرعية وان سلطة الرئيس ليست مدعاة للتساؤل.

لكن المسكوت عنه هو ذلك النظام الانتخابي المتخلف عن الديمقراطية المعاصرة، لا يقترع فيه الامريكي بصورة مباشرة انما يتحكم في النتيجة ما يسمى بالناخبين الكبار "السـندوة الانـتخابية" والمسكوت عنه هي الأصوات الانتخابية للولايات لا الأصوات الشعبية التي يدلي بها الناخبون مباشرة، وبالفعل فاز ثلاثة رؤساء في الماضي بالرئاسة مع أنهم تخلفوا عن منافسيهم بالأصوات الشعبية.

أنه حاجز بين المواطنين وانتخاب الرئيس..انها بداية التاريخ يا فوكاياما..!! ويا ما نشوف يا ما..

من بشائر الى سنغافورة

جاءت البشرى هذه المرة من بشائر على البحر الأحمر حيث احتفل السودانيون يوم الاثنين الماضي ببداية تصدير النفط.. فالبترول السوداني له مذاق خاص بالطبع..خاصة إذا رصدنا مسيرة هذا البلد لاستغلال البترول وحجم الجهود التي بذلت لتحويل هذا الحلم الى حقيقة.

وبينما كنت متسمراً في مشاهدة ذلك الحدث الذي حمله الأثير عبر القناة السودانية احتفظت ذاكرتي .بمعلومات تاريخية نفطية تقول ان الحديث عن احتمالات وجود بترول في السودان بدأ خلال الحرب العالمية الأولى وفي العشرينيات عندما كانت تتقاسم شركات البترول منطقة الشرق كمناطق اختصاص فيما بينها بوصفها شركات احتكارية لأعمال التنقيب ورد في تقرير لاحدى الشركات البريطانية تأكيد بضيق الاحتمالات البترولية في السودان. ولهذا فإنه لم تبذل أي جهود في هذا المجال منذ ذلك الوقت وحتى عام ١٩٥٩م..بعدها شهد هذا المجال نشاطاً ملموساً وصل قمته في عقد التسعينيات..وبالطبع يبقى لحكومة الانقاذ دورها الكبير في تحرير هذا المورد الهام من الارتهان الدولى الذي سيطر ولسنوات طويلة على مصير البترول السوداني.

لقد ظلت فاتورة استيراد المواد البترولية تشكل عبئا ثقيلاً في ميزان المدفوعات السوداني ردحا من الزمان حيث فاقت اربعمائة مليون دولار سنوياً، وهذا جعل الدولة تهتم بضرورة تشجيع الاستثمار في مجالات النفط استكشافاً وانتاجاً وتكريراً وتوزيعاً..الا أن افرص الاستثمار في مجال النفط وما لازمتها من جدية في السنوات الاخيرة ادت الى دخول العديد من الشركات العالمية للاستثمار في مجالات البترول المختلفة بالبلاد..

وبـــنهاية العـــام يـــتوقع ان ترتفع الطاقة التكريرية في السودان ويدخل مرحلة تصدير المنتجات البترولية المكررة..حيث يتم تصدير الفائض الى الأسواق العالمية.

وتقـــول معـــلومات وزارة الطاقة السودانية أن المساحة المرشحة للتنقيب عن البـــترول في الســـودان تبلغ اكثر من مليون كيلو متر مربع ويتوقع وجود استكشافات نفطيـــة كـــبيرة خلال الخمس السنوات القادمة.. وقد اعد السودان خارطة للامتيازات الـــنفطية تمشـــيا مع سياسة جذب المستثمرين الاجانب وتم تقسيم الخارطة الى مجموعة مـــربعات لتوفير المعلومات بسهولة ويسر...أيضا معلومات الخرطوم قالت ان احتياطي البـــترول السوداني في زيادة مستمرة كلما كانت هناك استكشافات جديدة خاصة وان هناك عملاً مكثفا في حقول اخرى في مراحل التنمية.

ويستبشـــر الســـودانيون خيراً لان الكميات المستخرجة خلال المرحلة الأولى تعادل خمسة اضعاف استهلاك السودان..فهذه الكمية تعتبر معتبرة خاصة وان السودان في المـــراحل الاولى مـــن عمـــلية النشاط الاستكشافي الذي لم يستغرق اكثر من عشر سنوات.

بشـــائر هـــي الميناء الذي انطلقت منه أول بأخرة محملة بالبترول السوداني الى سنغافورة.. وأيضا بشائر اهل السودان بميلاد فجر جيد.. سيظل هذا التاريخ معلماً بارزاً يحكـــى للاجيال القادمة انتصار الارادة السودانية.. هذا التاريخ سيرتبط في ذاكرة أبناء الســـودان بقصة الحلم الذي تحول الى حقيقة..الحلم الذي كان يبدو مستحيلا تحول الى واقـــع يبشر بمستقبل واعد..فهنيئاً للشعب السوداني بنفطه خاصة هذه الأيام التي تشهد هرولة في مسيرة الوفاق الوطني والسلام والاستقرار.

رسالة من عباس عبر الفاكس

وصـــلتنى هذه الرسالة عبر الفاكس من الاستاذ العزيز عباس على خليفة الذي أحب اليمن حتى الثمالة وقد انفعل بالسطور التي كتبناها عن المهندس حاتم أبو حاتم كما أنفعـــل بوفـــاة البردوني يقول فيها الصديق الوفى الشيخ حاتم أبو حاتم كم اثلج صدرى وسرني كثيرا جداً عودتك من رحلة العلاج في الاردن سليما معافا لأرض اليمن المعطاءة وشـــعبها الطيب لتواصل عطائك واسهامك المتميز في أرساء دعائم الديمقراطية والسلام والاســـتقرار والنماء في يمن الحكمة الايمان وأنت بحق تعد أحد حكمائها كذلك تواصل عطـــاؤك لابناء امتك جمعاء خارج حدود اليمن وفقا نحو تحقيق التسامح والوفاق ونبذ الفرقة والخلافات بين ابناء الامة الواحدة.

طالعت نبأ عودتكم الى أرض الوطن عبر صحيفة الاسبوع اليمنية عدد الخميس ١٩٩٩/٩/٢م والـــتي وصـــلت مع أحد القادمين من صنعاء الى الخرطوم لان الصحف اليمنية لا تصل الخرطوم. وعلى الفور اخذت اطالعها بشغف وانا اجتر الذكريات العطرة عـــن صنعاء واهل صنعاء الذين لهم في قلبى محبة كبيرة وشوق متميز يبقى ما بقيت على قيد الحياة.

وكذلك قد المنى واحزننى كثيراً نبأ وفاة شاعرنا الكبير شاعر العروبة والإسلام عـــبد الله الـــبردوني والله ان رحيله يمثل خسارة على الامة المنكوبة في هذا الزمن الردئ الـــذي اصـــبحت فيه الأمة تساق صباح مساء بواسطة أعدائها الى حتفها تحت دعاوى سلام مزعوم مع عدو يتربص بنا ويستكمل عدته وعتاده للاجهاز علينا واستئصالنا تماماً سلام لم نحققه بيننا قبل ان نلمسه مع العدو.

الا رحـــم الله شـــاعرنا الكـــبير البردوني واسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا وسوف تظل كلماته التي قال فيها:

ماذا ترى يا ايثمام هل كذبـــت

اهم بنا او تناسى غـــرفة الذهب

عروبة اليوم اخرى لا يتـــم على

وجودها اسم ولا لود ولا تعب

لكن رغم ذلك شاعرنا الكبير يعبد لنا الأمل والأمل سيبقي في هذه الأمة الى ان يرث الله الارض ومن عليها.

لكنها رغم بخل الغيث ما برحت

حبلى في بطنها قحطات اوكرب

العـــزاء لكل اهل اليمن قيادة وشعبا واحزابا ومنظمات جماهيرية وللإخوة في اتحاد الكتاب والأدباء اليمنيين وللإخوة في ملتقى الحوار العربي والإسلامي بالدار العامرة دار الدكـــتور / قاسم سلام حفظه الله. وللاصدقاء الاعزاء في مقيل الاربعاء أبدا بمترل الرجل الكريم الشيخ عبد الحميد الحدى حفظه الله وكذلك للاخوة الاعزاء اعضاء مقيل الخميـــس بدار السودان مترل شيخنا الجليل ميرغنى محمد عثمان حفظه الله ورعاه وابقاه ذخراً للعروبة والاسلام.

الحمـــد لله لعودة صاحب القلب الكبير سليما معافاً الى اهله ووطنه واصدقائه واحبائه عاد الشيخ حاتم ابو حاتم وهو يحمل هموم اطفال العراق سيرة الرفاق في السودان وغيرهـــا مـــن قضايا الامة المتجردة ابقاك الله ذخراً للامة مدافعا عن قضاياها لا تحدك حـــدود ويحدوك الامل والامل الكبير ان النصر والعزة لهذه الامة وذلك هو الوعد الحق الذي لابد ان يتحقق .

اخـــي العزيـــز طمئـــنت اخواننا واحبابنا من ابناء شعبنا اليمني العزيز ان سيرة الوفاق بالســـودان ماضية الى اهدافها باذن الله تعالى وبان السودان يستشرف قدوم عهد جديد يعمه السلام والرخاء لاهله وأبناء امته جمعاء.

وبشر اخينا وصديقنا الصحفى محمد عبده محى الدين صاحب مقال من بشائر الى ســـنغافورة في نفس العدد من صحيفة الاسبوع كم هو جميل مقاله وكم من سرور تركه في نفسى وبعض الاصدقاء الذين كانوا معي خاصة عندما ذكرت لهم ان صاحب هـــذا المقال صحفى سوداني مقيم في صنعاء من أقطاب المعارضة ولكن أدرك مبكراً ان قضية السودان يحلها أبناؤه بالحوار وليس بالتدخل الامريكي الصهيوني.

أطفال السجون .. ولا عمر للبراءة !!

يواجه الاطفال الذين تسوقهم الظروف لمخالفة القانون انظمة قضائية تعاملهم بمزاجية ولا توفر لهم قدراً من الحماية التي تمنحها للكبار، سواء كان ذلك ناتجاً عن الاسلوب الحكومي الابوى في النظرة لهم او بسبب إغفال حقوقهم، ان الاطفال في العديد من الدول يواجهون سطوة القانون و"جريمتهم الحقيقية، الهم فقراء او مهملون او تساء معاملتهم. والاطفال بغض النظر عن أسباب جنوحهم، لهم الحق في معاملة عادلة من قبل محاكم خاصة والتي صممت اصلا لمساعدقم في العودة الى مجتمع منتج بأسرع ما يمكن.

مامن احد يشكك في حق الاطفال في الحصول على احتياجاقم الاساسية من عطف ورعاية وتوفير الغذاء والمأوى والرعاية الصحية والتعليم، ولكن احيانا يعاقب الأطفال وكأهم بالغون دون الأخذ بالاعتبار افتقارهم الى النضج والخبرة لتمكينهم من تمييز ما هو صحيح وما هو خطأ، وأحيانا تساء معاملة الاطفال في السجن جسدياً وجنسيا، بل يتعرضون للتعذيب في بعض الحالات على يد اولئك الذين يفترض الهم يحموهم.

ويعاني الاطفال الفقراء من ربط المجتمع بين الفقر والجريمة في سن مبكرة فالعديد منهم يتورطون مع الشرطة والمحاكم، لانهم بمنتهي البساطة يبدون فقراء او غير مرغوب فيهم اجتماعياً، ان المرء لا يحتاج للاجتهاد كثيرا في خلفية الاطفال الذين ينتهون الى السجون ليجد القاسم المشترك بينهم، وهو الفقر، مهما كانت الحالة، فإن هؤلاء الاطفال يعيشون على الأرجح في الشارع حيث تدفعهم الحاجة الى السرقة من

كان او نشل محفظة او مقايضة الشيء الوحيد الذي يملكون - وهو اجسادهم — للبقاء على قيد الحياة.

ليس هناك أدنى شك في أن منع وقوع الجريمة هو أفضل من معاقبة مرتكبها، هذه الحقيقة هي أصدق ما تكون في حالة جنوح الاطفال، وهي غالبا ما تكون صيحة استغاثة من شقى صغير، خوفا من زج الاطفال في سجون هي في حقيقة الامر بؤر تدريب للمجرمين.

الاطفال دون سن معينة أصغر من ان تسند اليهم مسؤولية خرق القانون، هذا المفهوم يجد تعبيراً واضحاً في اتفاقية حقوق الطفل التي تدعو الدول الى تحديد سن أدنى، غير ان الاتفاقية لا تحدد سنا معينة، تاركة ذلك للدول نفسها والتي تختلف كثيرا فيما بينها حول هذا الموضوع، كما ان تحديد سن المسؤولية الجنائية هو ليس سوى متغير واحد يؤثر على الطريقة التي تتعامل بها الاجهزة مع الاطفال، ومن بين المتغيرات الاخرى وجود او عدم وجود قانون خاص للاطفال يستند الى حقوق الطفل، او فرض عقوبات تأديبية على الطفل او الاكتفاء باتخاذ اجراءات اجتماعية تربوية، ووجود او عدم وجود محاكم وسجون خاصة للاطفال.

ان النظام القضائي للاطفال يوفر الحماية القانونية، كما يوفر معياراً موضوعياً لمعاملتهم، وفي غياب هذا النظام، قد تجرى محاكمة الاطفال في محاكم جنائية او يجرى سجنهم سجنا وقائيا، حيث لا تتوفر أية حماية قانونية، وقد يواجه الاطفال معاملة قاسية، وكخطوة اولى نحو قوانين اكثر تقدماً تم في تشيلي إقرار نظام عام ١٩٩٤م الذي يمنع احتجاز الاطفال في سجون الكبار.

المغـــزى واضح، وهو ان أية إجراءات قضائية للاطفال يجب ان تعطى الاولوية لافضـــل مصـــالح الطفل، وانه بالنسبة للاطفال الذي يتم ادانتهم بجريمة ما، فإن التأكيد والتركيز ينبغى ان يكون على اعادة دمجهم في المجتمع وليس على انزال العقوبة بهم.

ان الطريق الى بلوغ سن الرشد ليس واضح المعالم، وعلى الاطفال وهم في طريقهم اليه تجـــاوز عقـــبات كبيرة، فأحياناً قد يخطئ الأطفال وعندما يجدون أنفسهم في مواجهة القـــانون، فـــإن لهم الحق في محاكمة عادلة من قبل جهاز قضائي مصمم لاعادة التأهيل وليـــس لايقاع العقاب، ان إنشاء جهاز قضائي كهذا يظل مفتوحا على الدوام، وهذا الانفـــتاح يعـــزز في اذهان الاطفال شيئا يجب ان يعرفوه، وهو ان الباب في هذا النظام القضائي يفتح باتجاهين، ولا ينغلق خلفهم الى الأبد !!

بعد الأربعين يا .. ابن بردون !

منذ سنوات طويلة، وأنا الاحظ أن كثيرين من أبناء الأجيال العربية يعرفون البردوني اكثر من اليمني. ولن أبالغ إذا قلت إن هذا الشاعر ارتبطت اليمن بأسمه، ويكاد يكون مشهوراً اكثر من اليمن، لانه ادرك منذ البداية اهمية التبسيط في شعره، وادرك ضرورة إثارة الأجيال العربية بالثقافة..ومن تجربتي الشخصية كنت كلما وجدت قصيدة انتابني احساس بأني مقبل على شيء ثقيل مقبض للنفس، إلا شعر البردوني، دخلته بلا خوف، وعلمني عشقه صديقي عبد الله القدسي الذي كتب :"الى من لن يموت، شاهد العصور وجوابها..استاذى العظيم عبد الله البردوني".

في اربعينية البردوني وتأبينه، بلغ الحزن مداه، بل ابتدأ الحزن الى غير منتهاه..وانفجر دمعى مع المبدع يوسف الشحارى، عندما قال: سيبقي الانقى وكبر الزمان واعلى الرؤوس.. ان البردوني خاف الخوف عليه، وخاف الخوف منه، وأخيراً هو من قتل الخوف.. وقال صديقه عبد العزيز المقالح: انها أيام للتفجع عليه.. أيام تكتب فيها الدموع ما لا تكتبه الكلمات.. وما سنكتبه على نار الحزن الهادئة سيكون اكثر تأثيرا واحساساً بالفاجعة.

٣٠ أغسطس ١٩٩٩م يوم تسلل فيه اليوم الى عزيز نعتز به، واهتزت بردون، مسقط رأسه، مفجوعة بالفاجعة.. إن البردوني هو الشاعر الحقيقي..إنسان حساس ينظر الى الحياة والناس بقلبه وعاطفته، ويحب أن يعيش في عالم يسانده ولا يعانده. وبعض الشعراء وجدوا الدنيا أمامهم صعبة وعسيرة، واجهوها بالعزم والإرادة القوية والتمرد عليها، مثلما فعل شاعرنا العربي الكبير عبد الله صالح البردوني، فقد وقف هذا الشاعر في وجه ظروف صعبة، منها الفقر، والسجن، والحسد الكبير الذي كان يشعر به نحوه

كـــثيرون من أدباء عصره، بعد أن اصبح نجما لامعا يطغى بنوره على الجميع، وقد ظل الـــبردوني يحارب ويتحدى حتى أدركه الموت في وقت نجد فيه شعراء آخرين انهزموا في صـــراعهم مع الدنيا، ولم يتحملوا لهيب المعركة المستمرة مع المتاعب والمنغصات، فأثروا ان ينسحبوا من الحياة كلها بالانتحار.

اليمـــنيون يضـــعون الـــبردوني في نفس المكانة الرفيعة التي يضع فيها الانجليز شـــاعرهم الاعظم شكسبير ..نعم انه أهم ادباء اليمن، وأكثرهم شهرة وتأثيراً في أواخر القرن العشرين..فهناك إجماع على قيمته الأدبية، وأهمية أعماله المختلفة التي لا تسعها إلا مؤسسة البردوني الثقافية، والتي يجب أن ترى النور عاجلاً..

كـــان البردوني الرقيق يكره العنف، وكان يردد عبارة جميلة وصادقة للأديب والمفكر الانجليزي الدوس هكسلي: "إن العنف يغري بالعنف، وكل اصلاح ينهض على العـــنف، لابد ان يذهب به العنف"وفي هذه الكلمات تصوير امين لدور العنف على مر الأزمان والعصور. فمعظم الذين لجأوا الى العنف خسروا قضيتهم، وخسروا انفسهم في آخـــر الامر، وبعض الذين لجأوا الى العنف كانوا صادقين كل الصدق في ما اعلنوه من أنهـــم يدافعون عن الخير والعدل، ويحاولون القضاء على الشر والظلم، غير أن اصحاب هذه المبادئ الكريمة لم يلتفتوا الى حقيقة بسيطة، ولكنها في الوقت نفسه حاسمة وقاطعة، وهي أن الاهداف الطيبة لابد ان تتحقق بوسائل طيبة ايضا..

وهكـــذا انـــتهت حيـــاة هذا الضاحك الحزين، ليمتد اثره الى الثقافة العالمية كـــلها..وكل من احب البردوني، فليطلب ان يتسلل الموت إليه، كما تسلل لابن بردون العملاق.

ما بين الشاعر والشارع أحرف متشابهات ...!!

في الذكـــرى السنوية الأولى لرحيل شاعر اليمن الاشهر عبد الله البردوني اكاد اجزم ان العلاقة بين الشاعر ونصه علاقة جدلية وصريحة في عضويتها، فما نسميه شعراً لا يعـــدو كونـــه نـــاتج الحركة بينهما اثناء عملية الخلق، جاء الشاعر ليكشف القبح، فاســـتنجد القـــبح بالسلطان، هرعت القضية الى الشارع ليمسك بها الشاعر..وما بين الشـــارع والشاعر احرف متشابهات، كان شاعرنا الراحل لا يعيش قلق الكتابة خلف المكاتب وفي غيبة من الناس، و لم يترل بشعره الى الشارع صدفة، فهل من الضرورى اذن ان نكـــتب شيئا او نتذكر شخصا يعيش بيننا؟؟ نعم نتذكره طالما الشارع ممتد ومتفرع بـــين حاراتنا..نعم، لانه يفضحنا ويكشف حالات الصمت المتوارية خلف حنين عاجز يفهمـــنا ولا نفهمـــه، كمحـــارب ومهاجم شرس لكل بؤر التخلف ومواطن الانهزام، فحضـــور النص ومنتجه هو وعي الشاعر بدوره الثورى والاجتماعي ، وحضور المنتج وغيـــاب الـــنص يعـــني تبعية الثقافي لمراكز الهيمنة، وحضور النص وغياب المنتج يمثل الازدواج والانـــتهازية الصـــارخة للمفردة الشعرية، ومجمل القول ان النص الشعرى لا يكـــتب له الخـــلود في وجدان المتلقى إلا إذا كان مرتكزاً على قوتين، احداهما شفافية الـــذات وشـــاعريتها وقوتها في ان واحد ، والثانية الموضوع ومدى انحيازه للإنسان في كدحه العام.

هكـــذا كان شاعرنا ، فالقصائد كالاشواك في ارجل الفلاحين تؤلمهم ويمشون عـــليها ومـــتى مـــا توفر لهم الوقت وضعوا على مكانهم بعد جرح الموضع قليلا بعض الاعشاب..وعندما تخرج الشوكة يرتاح الفلاح قليلاً وهو يهيئ اقدامه لشوك جديد، ان الـــناس تجدهـــم اقل اهتماماً بالشاعر والشعر الهتافى بينما نجدهم يحفظون الشعر المبشر

والمستطور في أدواته الشعرية التي تغزو الوجدان، فمن يستطيع إلقاء القبض على قصيدة رائعة ؟؟

قالوا عن البردوني في اربعينيته:"هذا الطفل الذي بزغ كالنجمة من بيئة البؤس، والفاقة والجوع، والجدرى والضياع، هذا الاعمى البصير الذي اخترق وتحدى ودرس وتعلم ونبغ في عمر مبكر، هذا اليافع المراهق الذي تغذى بعرق جهده، بعرق ابداعه، بموهبته، ببساطته بفهمه لظروفه، وواقعه، وظروف وواقع عصره، في زمن لا يعرف الناس واقعهم ولا ظروفهم، هذا الرجل الذي انضجته ظروف التعاسة، وتعاسة الظروف، وعلمته ثقافته كيف يعيش، وكيف يوظف كتابته، وكيف يستفيد مما يقرأ، وكيف يبشر ويتنبأ ويرصد الأحداث، ويتحدث عنها، ويسجلها شعراً نابضا بالحياة، وحيوية المشهد والرؤية والدلالة..

وفي حضرة شاعرنا الراحل يطيب القول:كان شديد النقاء لا يعترف بالاهواء العكرة المتصارعة، لم يستطع احد في معسكر الذين أحبوه وتذوقوا شعره ان يدعي انه انتسب الى حزب اخر غير حزب الشعر، وكان دائما يحتفظ امام العواصف الكبيرة في مجتمعه بنظرة الفنان الذي يحب ان يبكى ويضحك مع شعبه.

قال لي صديق احبه حتى الثمالة:كنا نتبعه جميعا لانه كان العيد بالنسبة لنا وكان الفرح، وكانت اشعار البردوني يحفظها الكثيرون من عامة الشعب ومن بين الذين يحفظون هذه الاشعار آميون لا يعرفون القراءة والكتابة، فهي عندهم كلام جميل قريب الى قلوبهم.

نعم، كان شاعرنا قريبا من الشعب محباً له، وكانت صلته الروحية بشعبه صلة مباشرة ، اي انها لم تعتمد على وسائل مثل الاحزاب والمنظمات او النظريات السياسية،

كان متصلا مع شعبه بقلبه وروحه وفطرته وبصورة مباشرة، وكأنه يقول عن نفسه:انا لن اكون سياسياً أبداً، أنا ثورى ، ولا يوجد شاعر حقيقي إلا إذا كان ثورياً.

لم أر شـــاعراً مـــثله اجتمعت فيه اللطافة والعبقرية ، القلب المشتعل والشلال الشـــفاف، لقد كان ابن بردون مسرفا في وحيه والهامه، كان مركزاً من مراكز الفرح يشـــع كالكواكب بسعادة الحياة، كان نابغا وساخراً خفيف الظل، كان عالمياً انسانيا ومحـــليا قرويا في آن واحد، كان خلاصة عصور اليمن المختلفة، وكان صفوة الازدهار الشعبي فيها، كان نتاجا عربيا يضيء ويفوح بالعطر مثل حديقة من الياسمين، كان كل هذا، ياويلتى، لقد اختفى ذلك كله، فآه ثم آه.

الآن جف مداد قلمى.. لا شيء سوى أنه حان الآن موعد أذان الشعر البردوني في اتكاءة معه، فذكرى الشاعر توازى وحدها جيشا كبيراً لابد ان ينتصر .

السياسيون .. ما لهم يكذبون ؟!

على متن الطائرة في رحلة العودة الى صنعاء جلس الى جواري "عالم اجتماع" ظل يتجاذب معي أطراف الحديث حتى هتف محتجاً على المساحات الممنوحة للسياسيين في صحف العالم الثالث قائلا :بصراحة الصحف ابتلت بالسياسة وحظوة السياسيين الإعلامية طاغية وظالمة مع انهم يكذبون كثيرا..ان قضايا الجماهير المباشرة أولى بالاهتمام بدلا من ان ننتظر الفرج دائما من الآخرين.. في ذلك الاثناء استدعت ذاكرتي الكثير من كذب السياسيين وأدب الصحفيين في الكذب السياسي.

ان قضية الكذب في الممارسة السياسية جديرة بالتوقف عندها مع قناعتي بان السياسي دائما ما يضطر ان يكذب ولن يعترف ابداً بكذبة سياسية اطلقها ولو قام صحفي باجراء استطلاع وسط السياسيين حول الكذب السياسي سيكذبون عليه وسيقولون له لم نكذب قط !!

نعم السياسة في العالم الثالث الى اليوم لم تعرف "ادب الاعتراف" ولا تمارس فضيلة النقد الذاتي ويضطر السياسي لتمثيل أدوار ليس مهيأ لها وهذا في حد ذاته كذب !! بعض السياسيين يعتبرونه كذباً في دائرة المباح وانه من الحماقة ان يتحدثوا بكل ما يعرفون خوفا من كشف اسرار ينبغي التكتم عليها..البعض ايضا يعتقد ان الكذب هو الكذب ولكن هناك كذب ضار وكذب اقل ضرراً وهو جزء من شخصية الإنسان.. وهناك نوع من الكذب يحتمله المجتمع وهنالك من يرى ان الحياة لا تمضى بلا كذب..

والناس يطالبون السياسي باشياء تفوق طاقته ومن يتجاوب مع هذه الطلبات ليس أمامه سوى خيارين فاما ان يكون واضحا ويقول "لا يستطيع" والناس لا يحبون هذا لأنه لا يعطيهم مساحة للأمل..اما الخيار الثاني هو ان يحايل عليهم بالوعود

الكاذبــة..وهـــذا افضل لهم خصوصاً في البلاد التي تغشاها الآمية والتخلف..وقد يعتبر البعض ان السياسة في حقيقتها "حرب مصالح" ولذلك يجاز فيها الكذب !!

اعـــتقد انــه كمـــا يقول سياسي مخضرم ان تراكمات تاريخية معينة بالنسبة للممارســـة السياسية جعلت الحديث عن الكذب في السياسة ينطوى على خطأ منهجي باعتــبار مجـــال عمـــل المفهومـــين مختـــلف عـــن الآخـــر..الكذب ينتمى الى حقل الاخـــلاق..والسياسة تنتمي الى حقل الصراع الدنيوي من اجل السلطة.. وهو صراع تراكمت مفاهيم كثيرة عبر تاريخه لتؤكد – على اختلافها- ان استخدام كافة الاسلحة مـــباحة وبالتالي اقحام الحديث عن الكذب والصدق كأنه حديث عن الخرافة...وهناك مـــن نظـــر لذلـــك بصراحة مثل ميكافيللي في كتابة "الأمير" وهو افضلهم لأنه صريح وواضح والآخرون إذا كانوا لا ينظرون لذلك لا يعنى انهم صادقون !!

المـــبدأ العـــام في اعـــتقادى ان السياســـي يجب الا يكذب.. ولكن بالطبع يرى بعض السياســـيين ان لكل قاعدة عامة احتمالات للاستثناءات ففي شروط معينة مثل مواجهة الـــتحقيق عـــند الاجهـــزة الامنية إذا احس السياسي ان الصدق سيضر حتما بسلامة الأخرين فإنه لا يلتزم بالصدق..ولكن مهما كانت الظروف ومهما كانت الضغوط فإن الكذب يجب الا يطال ابدا الخطاب الموجه الى الشعب..وما من سياسي جدير بالاحترام يمكن ان يكذب او يموه على شعبه.

وبين كذب الدولة والحزب والفرد نجد ان كذب الدولة مخطط لان مجموعة من الـــناس يـــتفقون على كذبة معينة..فهو كذب مؤسس..وكذب الفرد يأتى غالبا حينما يكون الإنسان في ورطة شخصية فهو مربوط بالضعف الشخصى والتطلعات الطارئة !!

السياســـيون يكذبون على الصحفيين وعادة تحسب وتحصى الاكاذيب بالنسبة للسياســـي عندما يكون في مواقع قيادية وفي مواقع الزعامة وتجد السياسي الذي عندما

يصـــفه الصحفى بأنه "قائد او قيادي" يصمت ولا يصححه وهكذا يكذب..وبالصمت أحياناً يكذب الإنسان..!!

ان السياســـة امـــر تباين في الرؤى واختلاف في المذاهب واجتهاد في البرامج..وهذا لا يـــتحقق إلا عـــن طريق تربية سياسة قومية تلتزم بها كل الاطراف المتصارعة والى ذلك الحين يظل الكذب صفة اخلاقية دميمة.

قات كيماوي ..فياجرا ..مونيكا..!!

الى وقـت قـريب كـان الحديـث يشوبه الحذر من انتشار السموم البيضاء "المخدرات" وكان الاسترخاء على متاكي "القات" يبرر تعاطيه ، وجاء الرهان على أنه اقـل ضـرراً وأكـثر نعومـة..ولكن دخلت السموم "المواد الكيماوية" الى الاغصان الخضراء..وسجلت المستشفيات حالات من التسمم بالقات الكيماوى..كيف لا..وقد اصبحت المواد الكيماوية من أسمدة وعقاقير واقية للنبات منتشرة دون رقيب وفي متناول الايـدي تـباع في اسـواق الريف والحضر تحت الشمس وتحت لافتات "بيع العقاقير النـباتية"...مثـلها مثل بعض صيدليات عقاقير البشر المكدسة بادوية بعضها تجاوزت الصـلاحية واخرى توقف العالم عن استعمالها لاثارها الجانبية الخطيرة، وكله في النهاية يتسرب عن طريق المهربين سواء كان بشريا او زراعيا..واصبح "القات" الذي تتوقف له السـاعات الطوال وتخلو الشوارع بعد شرائه من السيارات والمارة لساعات من الزمن، ويـرتمى بين اغصانه الملايين يحمل سموماً قاتلة تشبعت بها اغصانه ووراؤها عقلية تجارية تهـتم بـالكم وليس بالكيف !!؟ وتحصد ملايين الريالات المسمومة ويبقي الضحايا في انـتظار غسـيل فورى للمعدة، وكم من أمعاء خاوية الا من تكتفى بوجبة "الزبادى" وتصرف مئات الريالات عليه وهنا تكمن المأساة ..وإنها ضلع المثلث الأول.

ان"القـات" البريئ الذي يسيل له لعابك وانت تقرأ رواية "الرهينة" للمعجزة الكـاتب زيد مطيع دماج كان خاليا من اي سموم ولعله كان يقوم ببراءة بدور فيآجرا هـذا الـزمن الخـبيث حـتى ولـو اقتصرت مهمته على تهيئة الذهن لممارسة الجنس الحـلال..ولكـن اليوم جاءت اقراص الفياجرا لتنال من الفحولة العربية الطبيعية وتخلق عجـزاً نفسـيا يتوهمه الذين ليس بهم مرض ويتأثرون بالحملة الاعلامية التي صاحبتها

لتصبح الأسواق العربية ومنها اليمنية مفتوحة لاستقبالها واستعمالها دون خوف من آثارها . فالضوابط التي وضعتها وزارة الصحة باعترافها ليست كافية في بلد يباع فيه كل شيء..واي شيء..ويعاني من التهريب والفوضى في بيع الدواء..فالذهنية العربية المولعة بالجنس حلاله وحرامه كانت تهاجر طلبا له الى مدن بعيدة وراء البحار وتصرف ببذخ..فكم من الثروات العربية ضاعت في احضان الغانيات وكان ذلك بدون الفياجرا اما اليوم طالما وقد وجد هذا العامل المساعد فسوف يكثر الفجور بين تلك المدن والقصور .

ان الفياجرا ستزيد من الهوس الجنسي وتتسبب في كارثة نحن في غنى عنها..فالتوعية بمضارها يجب ان تسبق الجري المحموم لتسويقها لان العلماء في الغرب قالوا فيها مالم يقله مالك في الخمر..انها ترف الحضارة الغربية الاباحية ونحن في حاجة الى اقراص الملاريا والتايفوئيد والبلهارسيا وامصال التحصين ضد امراض الطفولة الستة.

واليمن حسب احصائيات المنظمات الدولية نساؤه اكبر خصومة ورجاله اكثر فحولة والنمو السكاني في تزايد مستمر يقلق البعض ويهدد نسبة النمو السكاني العالمية بدون فياجرا التي هي ضلع المثلث الثاني.

وفي ظل الآثار السامة لفياجرا اليمن "القات" وفياجرا خارج الحدود التي تهدد الفحولة عليها اسم "مونيكا" بعد "ليلي علوى" السيارة القديمة ولعل "مونيكا" صاحبة فضيحة كلينتون رئيس الولايات المتحدة وموطن الفياجرا تعتبر رمزا للجنس ودعاية مروجة ايضا للفياجرا..فماذا إذن تنتظر من شخص يتعاطي القات المسموم وبعده الفياجرا ويجلس متربعا خلف مقود "مونيكا" ينظر على قارعة الطريق ليقذف بسمومه هذه انها الطامة الكبرى وضلع المثلث الثالث..ولا ننسى الظاهرة التي انتشرت هذه الأيام بصورة اكبر ابطالها يقودون السيارات الفارهة وضحاياها من الفتيات تبتلعهن هذه

السيارات في طريقها الى مكان ما..وما قصة فتاة الجولة المتسولة التي نشرتها "الأسبوع" في احـــد اعدادهـــا بـــبعيدة عن الأذهان وفوق هذا وذاك إنهم عجلوا بصناعة الفياجرا ومازالوا يلهثون وراء الوصول الى علاج للايدز وحفظ الله الجميع وانه المثلث المميت!!.

على الهاتف السيار ...

"حكى لي احد الاصدقاء أن آخر الكلمات التي كان يرددها الضحية في حادث مـــروى وهو ممسك بهاتفه السيار وسمعها الطرف المتلقى للمحادثة .."اين تخزنوا اليوم"؟ وبعدها لم يسمع منه سوى صوت اصطدام شديد انقطعت بعدم الكلمات.. لقد انشغل ضـــحية الهـــاتف الســـيار بالحديث وبدلا من ان يقود السيارة قادته هي الى حتفه لان اســـتعمال الطريق هو فن راق لا يستطيع ان يقوم به بكفاءة واقتدار الا شخص كامل الوعي والادراك.. واهم العناصر التي تستعمل الطريق في الغالب الأعم هو السائق..لان الســـائق المثالى هو ذلك الذي يعرف كيف يستعمل الطريق باسلوب صحيح يؤدى الى اكمال رحلته في سهولة ويسر دون ان يعرض نفسه والآخرين للخطر.

وقـــبل انتشار موضة استخدام الهاتف السيار اثناء القيادة في الطرقات..كانت قيادة السيارات اصلا لا تخلو من الحوادث بسبب السرعة الجنونية وعدم الالتزام بقواعد المـــرور واتذكر انى في مطلع التسعينيات كنت اقود سيارتى "السوزوكي" الصغيرة في شـــارع "الزبيرى" بكل هدوء ويقظة وفي ذهنى حديث احد الاصدقاء الاوروبيين الذي دائمـــا ما يردد لقد افتقدت الاستمتاع بقيادة السيارة في شوارع صنعاء لأنى لا اعرف نوايا السائقين الآخرين الذين يستعملون الطريق.

وفي هـــذه الـــلحظة تجاوزتنى سيارة بسرعة مخيفة حتى تجمد الدم في شراييني ولكـــننى قررت اللحاق به وحبا في الاستطلاع الذي هو من صميم مهنتى تعقبته وحين وصلت الى موقع توقف فيه بسيارته وجدته يشرب كوبا من الشاى الساخن في احدى البوفيهات..وتأكدت ان الشاى كان وراء تلك السرعة الجنونية لا غيره!!

ان استـــعمال الهاتف السيار وجد اصلا للذين يحسبون وقتهم بالدقائق والثواني وهـــم في عجالـــة مـــن أمـــرهم دائمـــا وفي انشـــغال مستمر بحكم اهمية شغلهم في الحياة..ويتوقعون في أي لحظة دعوة او عودة لعمل مهم يتطلب استعمال هذه التقنية .. ولكن ما يحدث الان في الشوارع هو استخدام للهاتف السيار وكأنه تليفون عادى وتتم الاتصالات لاشياء ليست ذات قيمة إذا ما قورنت بالخطر المحدق بالسائق في أي لحظة.. فكـــان يمكـــنه ان يـــتمهل ويصبر حتى يصل لانه لا شيء يستدعي الانشغال عن قيادة الســـيارة باتصـــال هاتفى لا طائل منه سوى نظرات بعض المارة بدهشة وتعجب تاره وحســـد تـــارة اخرى حيث يتفاعل السائق هو كذلك مع تلك النظرات ويبادلهم إياها ويغيـــب الطـــريق عن ناظريه وتحدث الكارثة...وحتى سائق التاكسى اصبح مشغولاً بالهـــاتف السيار وكأنه يرد على احد الزبائن الذي ينتظره على احر من الجمر في موقع ما..

ان اهتمام السائق بمعرفة نوايا السائقين الاخرين على اطراف الطريق ومن أمامه ومن خلفه تمكنه دائما من اتخاذ القرار المناسب وفي الوقت المناسب، لا يتأتى هذا الا عن طريق التركيز والانتباه في كل الاوقات اثناء القيادة.

ندعـــوا الى سائق مثالى "بدون هاتف سيار" حتى نراه على الطريق وهو ذلك الســـائق الـــذي يـــنظر ثم يفكر فيما سيحدث امامه في الطريق وكأنه يقرأ المستقبل لما ســـيحدث من كتاب مفتوح امامه وذلك حتى يتمكن من درء كل المخاطر المحتملة في ســـهولة ويســـر فيوفر بذلك السلامة لنفسه ولغيره كونه مستعد لكل الاحتمالات التي يمكن ان تقع، وذلك حتى لا تأخذه المفاجاة لما يمكن ان يحدث حوله في الطريق..وحفظ الله الجميع وسيروا بالسيارة وليس بالسيار.

اجابة واحدة لاسئلة كثيرة

لقـــد شـــدني التلفاز لحديث الرئيس على عبد الله صالح عن ضرورة التعليم كســـلاح اســـتراتيجي في حفل تخريج كلية العلوم الشرعية بالحديدة..نعم تقول مسيرة الامـــم بقـــلق شديد ان عدة اشهر تفصلنا عن نهاية الالف الثانية للميلاد وما زال هناك ١٤٠ مـــليون طفل خارج المدارس، بالرغم من تعهد الحكومات بتحقيق شمولية التعليم الاساسي بحلول العام ٢٠٠٠م.

ولذلـــك مـــا زالت الاسئلة التي تفرض نفسها على الامم : كيف تستطيع غرس مفهوم الحقوق الاساسية للإنسان ؟ كيف تحقق تنمية اجتماعية واقتصادية مستدامة ؟ كيف تحل النزاعـــات العـــرقية والقبلية ؟ كيف توقف التمييز الجنسوى ؟ كيف تضع حداً لعمالة الاطفال ؟ كيف تعطى املاً لجيل جديد من الاطفال ينمو في عالم يزداد تعقيداً ؟ الجواب هـــو التعلـــيم ..تعليم جيد ووثيق العلاقة بواقع حياة الناس بحيث يعد شبابنا للمشاركة الفعالـــة في تطورهـــم ونمائهم سواء كان ذلك في مجتمعاتهم المحلية او في العالم الاوسع. التعليم حق انساني اساسي وقد تم الالتزام به في اتفاقية حقوق الطفل، وبدونه فإن قليلا من هذه المشاكل سيجد طريقه الى الحل.

فـــالمدارس الجيـــدة لا تغـــرس فقط المهارات الاساسية في عقول الاطفال، بل وتبصرهم بحقوقهم وتقيهم من انتهاك هذه الحقوق . وقد اعلنت منظمة العمل الدولية ان الطـــريقة الاكـــثر فعالية لوقف اقبال الاطفال على الاعمال الوضعية تكمن في توسيع وتحسين مستويات التعليم بحيث تجذبهم وتحفزهم على الاستمرار. التعليم يحتاج الى التزام اكـــبر من أي نشاط تنموى آخر لان التعليم ليس حقنه تعطى لمرة واحدة ولكنه عملية مستمرة ومكثفة الجهد، وهو يتطلب مدرسين ذوى مهارة ومعرفة رفيعة يكرسون بصبر

جهدهـــم سنة تلو سنة، كما يتطلب فهماً جيداً وأدوات متوفرة. ولتوفير هذه المتطلبات يتعين على الحكومات والاهالى ان يقرروا ان تعليم الطفل يستحق التضحية بالاولويات الاخـــرى. فالتعليم ببساطة لا مجال للمساومة فيه. وإذا امكن اقناع الاهالى بان التعليم اكـــثر نفعـــا على المدى البعيد لاطفالهم من المردود المالى الآني المتدني الذي يحصل عليه اطفالهم نتيجة العمل في مهنة متدنية او العمل مع العائلة، فأنهم سيبذلون جهدهم لارسال اطفـــالهم الى المـــدارس بيد ان ضرورات المعيشة قد تمنع اطفالهم احيانا من الذهاب الى المـــدارس، وبعض الاطفال يبدأون الدراسة ثم يتسربون لانهم لم يكونوا مهيئين لها تهيئة كافية : فقد يكون لديهم سوء تغذية ولا يستطيعون الانتباه والتركيز في الصف. وقد لا تتوافر لهم عناية بدنية او عاطفية في طفولتهم المبكرة ، وهي أمر ضرورى للنمو الجسدى والعقـــلى لـــلطفل الصغير. هذه المشاكل معروفة جيداً وإذا لم نعالجها فمن المؤكد ان ينعكس ذلك على نوعية تعليم اطفالنا ، ينبغى لغرفة الصف ان تكون مكاناً يثير اهتمام الطفـــل، وهـــذا يعتمد على نوعية المدرسين، ووفقاً لبعض التقديرات فان الدول ذات الدخـــول المـــتدنية "ولا يشمل هذا حتى الصين والهند وهما اكثر الدول كثافة سكانية" تحتاج الى حوالى ٤,٥ مليون مدرس اضافى لتحقيق شمولية التعليم الاساسي بحلول العام ٢٠٠٠..أي بـــزيادة مقدارها ١,٨ مليون معلم عما سيكون موجوداً بالفعل إذا استمر الاتجـــاه الســـائد حاليا..ونكتشف في مسيرة الأمم بالطبع انه من المؤكد ان النقص في المـــدارس والمدرســـين هـــو السبب الرئيسي لعدم تحقيق شمولية التعليم الاساسي حتى الآن..لكـــن ثمـــة سبب آخر الا وهو قصور التعليم من حيث النوعية ومن حيث صلته بـــالواقع ممـــا يـــؤدى الى خيبة آمال الاهالى وتبديد المصادر، وعندما يطلب من الاهل والمجـــتمعات ببســـاطة ان يدفعوا النفقات ، فانهم ربما ينظرون الى التعليم باعتباره عبئا. ولكـــن لـــو اسند اليهم دور ذو معنى، فأنهم عادة ما يشاركون برغبة. ففى فيتنام على

سبيل المثال طلب من الأهل المساعدة في اختيار المدرسين وتطوير المناهج وادارة المدرسة فحققــت المجــتمعات نجاحا معقولاً في توفير المباني المدرسية بتكاليف متدنية عن طريق المشاركة والعمل الطوعي .

جلباب سوداني...و"حلومر" رمضاني !!

"أتي رمضان" برداً وسلاماً..هكذا قال لى صديق دبلوماسي يمنى له ذكريات مع نهـــار رمضان الحار جداً في السودان في سنين مضت..وذهب في قوله: يجب ان يصوم السـودانيون في صـنعاء شهرين بدلا من الشهر الواحد حتى يصلوا الى سقف المعاناة الماجورة في رمضان الخرطوم..ولكننى طمأنته بأن التغيير العالمى في المناخ جاء برداً على رمضـان الخـرطوم في السنتين الماضيتين وحتى هذا العام هبت الرياح الشتاء مع رياح الـتعددية السياسية التي ستنطلق في النصف الثاني من شهر رمضان، جعلها الله مباركة بركة هذا الشهر.

وشـــرت بذهنى الى موائد رمضان في السودان التي تنتشر في الشوارع وتتربع "عصـيدة الـذرة" على منتصف المائدة ومشروب "الحلومر " المصنوع من الذرة ايضا، والـذي يـروى الظمـأن دوماً..اضافة الى مشروع الليمون الذي تفيض به الاسواق السودانية ويباع في صنعاء باسعار خيالية.

وعـدت مـرة اخـرى لمتابعة أطراف الحديث والذي كان يدور حول الزى السـوداني وانطـباعات اخـرى..وبنظرة يمنية فاحصة تغلب عليها روح النكتة كانتِ "الجلابية" السودانية التي لها جيب من قبل وجيب آخر من دبر جزءاً من الحديث..فقالوا : انها صمت هكذا لان السودان الذي زعموا انه "كسلان" يريدها سهلة اللبس من اية جهة.

وبســرعة فائقة اجابنى : أن السوداني النشط في عجالة من أمره، وحرصا على وقـته يـريد ان يرتديها بسرعة..وكان الرد إذا كانت المسألة خاصة بالوقت..فكيف يتعامل مع العمامة الطويلة التي تأخذ بدورها وقتا في لفها حول رأسه.

فقـــلت: انـــنى اتمسك بمقولة احد الحكماء الذي قال : ان السودانيين يحملون اكفانهم على رؤوسهم في استعداد دائم للموت..وتذكرت اطفال الشارع الذي اسكن فيه عندما صاحوا "أبصر السوداني يلبس حنش" في أشارة الى الجزمة المصنوعة من جلد الثعـــبان التي افضلها دائما، وكانت بطاقة هويتي في عواصم اخرى يعرفوننى بها سودانيا وانـــا مـــزهو اضغط على الارض من تحتها مؤكداً انى لن اتأثر بلدغاتها فهي خالية من السموم وحتى لا يحسبنى الامريكان أنتهك حقوق نفسى.

لقـــد ترك "الزول" انطباعاً فطريا لا بأس به، فهناك جيل ممن تلقوا العلم على يديه واندمج في المجتمع اليمني يرتاد اسواق "القات" ولا يشترى "الصوتي" منه لانه يركن الى الـــنوم مبكراً ويصحوا على أصوات "الديوك" لأنه لا يحب لحومها كما يحبها جيرانه الاحـــباش..ولكنه يزاحم في مطاعم "السلتة والفحسة" ويستهلك معظم "البسباس" في الأســـواق..امـــا "الـــزولة" فدائمـــا تغزو شارع جمال وتجعل "الزول" يتحسس جيبه دائمـــا..فالسودانيون قالوا ان فلوس "ابو يمن" لا تبارح مكانها وتمتصها الاسواق اليمنية خلافـــاً لليمـــنيين الذين جاءوا السودان في حقبة سابقة وجيوبهم خاوية ولكن عقولهم الـــتجارية ناضجة فعادوا أثرياء يشار لهم بالبنان..اما "الزول" إذا اراد ان يمتهن التجارة فحليفه الفشل في اليمن، وربما اصابه سوء لا لشيء "إلا لأنه يريد ان يبيع الماء في حارة السقائين "بائعى الماء" فالتجارة يمانية.

وعـــلى ذكـــر ريـــاح التعددية السياسية الرمضانية كان الحديث يدور حول السوداني المولع بالسياسة ..فكلهم سياسيون حتى النخاع، حتى الذين تعلموها في مجالس "القات" نحسبهم امتهنوها، وعندما تأتى "الساعة السليمانية" ينتفخوا ويصبحوا زعماء، ولكن كل ذلك في تسامح بينهم اشتهروا به..وحتى من تجاوز الخط الأحمر واصابه سوء

جـــاءت ســفارته لتأخذ بيده فلهم العذر، فقد اندمجوا في المجتمع اليمني واستولوا على "الساعة السليمانية".

وقـــال احـــد المتحدثين معلقا: ان المشكلة الآن ليست عودة التعددية، بل هي عودة هؤلاء ..فهل سيرضى السودان طموحهم السياسي الزائد.

فقـــلت: أني بهم ادري، فالبعد عن الاوطان يولد جرثومة النسيان، ولكننا نحن أبناء ساس يسوس ومنا "قرنق" قائد حرب البسوس وقليل منا ينخر كالسوس، وفي تراثنا السياسي للتعددية رموزها ولبوسها وتيوسها، فأظفر بذات الدين تربت يداك..ورمضان كريم والله أكرم.

الرأى العام ..أي كلام ...!!

مثلما يتحكم ٢٥٠ شخصاً بـــ٨٠% من ثروات العالم حسب آخر احصائية اقتصـــادية لهـــذا العــــام يتحكم ايضا سياسيون لا يتعدى عددهم اصابع اليد على حياة الشـــعوب بلغة الصواريخ والقتل، ولا يهتمون بالرأى العام الذي اصبح "اي كلام" بل اصبح الحق في ابداء الرأى غير محترم في انحاء العالم، مع ان الفقرة الاساسية المذكورة في البـــند التاسع عشر من الاعلان العالمى لحقوق الانسان تقول : "كل فرد له حرية ابداء الـــرأى والتعبير ويتضمن هذا الحق الحرية الاحتفاظ بالآراء دون تدخل . والبحث عن معـــلومات وافكـــار وتـــبادل تـــلك المعلومات عبر أية وسيلة بغض النظر عن الحدود الجغرافية".

ولكـــن رغم انهم يحتفلون الان بمرور خمسين عاما على الاعلان العالمى لحقوق الانســـان فإن الفقرة التي ذكرناها تعتبر مهملة في معظم دول العالم..اما منطقتنا العربية التي لا تعرف اصلا الرأى العام وتعيش على النميمة .. كل دولة تآكل في جسد الدولة الاخرى وبدلا من ان يحاربوا الغطرسة الامريكية وارهاب دولتها المتغطرسة يحاربون هذه الأيـــام "قناة الجزيرة" التي اصبحت بعبعا مخيفا تسخر من رأيها لآخر القنوات الفضائية العـــربية الآخرى وتعكس اتجاهها المعاكس حكومات ووصل بهم الحقد عليها الى درجة عدم قبولها عضواً في اتحاد الاذاعات والتلفزيونات العربية.

واذا كانت فضائية الجزيرة قد جذبت العرب العاربة والمستعربة الذين يتنفسون مـــن خلالها فإن الفضائيات الاخرى تعتبرها حالة شاذة ولن ترضى عنها إلا إذا انطلقت مـــن كل دولة عربية قناة فضائية تتخصص في مشاكل الآخرين وتنسى نفسها ويصبح الـــرأى العــــام نميمة وترفأ يعرضون من خلاله مشاكل الغير ويضحكون عليها وكأنها

مسرحية كوميدية تنتهي فصولها خارج حدود الفضائية وفي ساعات بث اكثر حضوراً ، وهكـــذا يصـــبح الحال من بعضه والرأى العام لن يكون له صدى ولا أهمية ولن يكون محترما ابداً.

إذا كـــنت فقـــيرا لا تحلم ان يسمع لك رأى، وإذا كنت غنيا ستفرض رايك بالغـــاء الرأى الآخر، واثناء المناظرة التي جرت في الامم المتحدة بشأن الحق في التنمية، انتقدت الدول الفقيرة الدول الغنية بشدة لأهمالها شؤون الفقراء..ويقول المتخصصون : لن يكون هناك مستقبل للتنمية الاقتصادية والفنية دون الحق في التعبير.

وكـــانت الجمعية العمومية للامم المتحدة التي تعد أفضل منتدى لمناظرة حقوق الإنســـان هي نفسها الساحة التي تفتقد الحقوق وتفتقد الرأى الآخر بل اصبحت لافتة ترفعها الولايات المتحدة وقت العدوان وتدوس عليها في لحظة التخطيط والتآمر.

وعـــندما ارادت الـــدول الفقيرة ان تبدى رأيها في حاجتها وحقها في التنمية جاءهـــا رأى مضـــاد بالصـــواريخ والتوبيخ يقول ان حقوق الانسان والحقوق المدنية والسياسية اهم من المأكل والملبس، وإذا كان هناك جوعى وعراة وحفاة اعطوهم مزيداً مـــن الحقـــوق والدول الغنية هي صاحبة الرأى والحق الذي تستمد منه الدول الفقيرة حقوقهـــا. وكـــان قرار "الحق في التنمية" قد طرح للتصويت في نوفمبر الماضى وتمت الموافقـــة عـــليه بغالـــبية ١٩ اصوات مؤيدة مقابل صوت واحد معارض هو الولايات المـــتحدة، امـــا باقي الاعضاء في المنظمة الدولية البالغ عددهم ٧٥ عضواً فقد تغيبوا أو امتنعوا عن التصويت.

وقـــالت الفقرة الجديدة ان العيد الخمسين للاعلان العالمى هو الوقت المناسب لوضـــع جميع حقوق الانسان وخاصة الحق في التنمية على رأس جدول الاعمال العالمى،

وكـــانت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة التي صوتت ضد الفقرة الجديدة ولسان حالها يقول ليس لهم رأى طالما نحن ندفع نفقات برامج التنمية وليس لنا رغبة الآن في ذلك!!

عندما يحرق الصحفيون الورق

"إنني اريد ان يحرق جثماني، وان تحمله طائرة تصعد به إلى الاجواء العليا وان تلقى بذراته من الهواء لكى يترل على الحقول التي يرويها عرق فلاح الهند واتمنى ان تمتزج بـــتراب بلدى وتصبح جزءا لا يتجزأ منه"..هكذا كانت وصية جواهر لال نهرو الزعيم الهندى الراحل عام ١٩٦٤م...

وهناك حريق آخر على طريقة السادات الذي كان يجعل من يوم حرق الأوراق السرية مناسبة لها طقوسها ويجلس لها الساعات الطوال..هذه الأوراق السرية كانت تملأ بدخانها سماء مصر ولكن لا يدرى الشعب عنها شيئا..ايضا كثيرون منا يحرقون اوراقهم ..وكثيرون تحترق اجسادهم بعيداً عن طريقة نهرو.

الصـــحفيون والكـــتاب غـــارقون في تـــلال من الورق بعضهم يتخلص منه بالحريق..والبعض يحترق قبل الورق ..ودائما اجد نفسى محاطاً بكميات كبيرة من الورق والصحف تزاحمنى في مضجعى ولعل اجهزة الحاسوب ساهمت كثيرا في تخزين المعلومات الهامـــة التي تتطلب العودة اليها ولكن اذا ما تعرض الجهاز الى "فيروس" فإنه يلتهم المادة كما تلتهم النيران الورق..

بعض المواد تحتفظ بها لانها لم تجد طريقها للنشر إما بفعل فاعل او نتيجة للرقابة الذاتيـــة.. وهـــناك مـــواد نشـــرت وانتشرت ولكن لا حياة لمن تنادى ولن يعود غير الصدى..إن رسالة الصحافة المنقوصة بعدم التفاعل والانفعال معها تتطلب من الصحفيين ان يمارســـوا مهنة حرق الورق بدلا من حرق البخور..فليحرق الصحفيون كل الورق وكـــل الصحف بعد صدورها ويلقوا برمادها المتطاير على الارض لعلها تعبر عن قلقهم وارائهـــم وانتقاداهم ودعوهم للاصلاح وياحبذا لو التصقت ذرات الرماد المحروق بموقع

الحـــدق فتزيل فساده ان كان فاسداً..وتوقف الحرب على ميدان الصراع..وترفع الظلم عندما تقع ذرة رماد على عين ظالم..لابد ان يكون حرق الورق وسيلة ناجحة تجعل من الصحافة أكثر حرارة عندما يتطاير الشرر من العيون.

اراقـــب عـــن كثب عملية الاحتراق التي تمر بها نقابة الصحفيين اليمنيين..انهم يحـــترقون بالانفعال والتراشق بالكلمات الى درجة اللطمات من أجل التوصل إلى كيان صحفي..ولكن من هو الصحفي..هذا السؤال الصعب الذي لن يحسمه الانفعال فهناك "غـــلطة" عندما تحول كل يمني الى صحفي وإلى كاتب صحفي ..وهناك "ورطة" كيف الخـــروج مـــنها وانت لا تستطيع ان تخلق صحفي متفرغ ومؤسسة قادرة على الوفاء بالتزاماته ومعيشته..ولذلك اصبح الوراقون كثر..ومهنة الصحافة اضافة..إذا الكل يكتب حـــتى تتراكم اطنان من الورق المكتوب والمسود ثم احرقوه..ان ذرات الرماد قادرة على اســـكات الاشـــرار من العباد..وان فشل مفعول الحرق والحريق يكون حظ الصحفيين ..كدقيـــق فوق شوك نثروه ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه..صعب الأمر عليهم فتنادوا اتركوه..ان من يشقيه ربي كيف انتم تسعدوه!!

مهابة الأمكنة ..وخداع النظر...!!

بعـــد عقد من الزمان تشابهت علينا ملامح الخرطوم..وانتشرت أمكنة نتهيب دخولهـــا وأخرى لا تعرف أمورها ..قصور وفلل وهلم جرا..أسماء عديدة غطت على "الحـــلة الجديـــدة"..السجانة هددتها الأسواق والمباني الشاهقة..تشابهت علينا السياسة واستعصى على فهمنا الساسة..ما زال الوطن وترابه رهين بالترابي واترابه السادة المتوقع عودتهـــم واجيـــال جديدة ترى اسياد جدد ظهروا بالمال وغيره..ولعلها ستكون مرحلة الاسياد بعد ان كانوا سيدين وشيخ..ونيف..

الحاجز المفتعل بين الصفوة والعامة يجعل من اماكن تواجد الصفوة والسادة في المجـــتمعات وكأنهـــا جزيـــرة معـــزولة..تجد لافتات ضخمة وأسماء كبيرة يتهيبها عامة الـــناس..مع أن الفرضية الاجتماعية والعلمية تقول أنها لخدمتهم والبحث في قضاياهم، وتـــرقية مجتمعاتهم ولكنها في الحقيقة ابراج عالية بينها وبينهم مسافات..ولذلك ابتدعت المنظمات الطوعية القادمة من وراء البحار مصطلحات مثل الالتصاق بالمجتمعات واشراك المجتمعات المحلية في صناعة القرار، والاختيار الأسرى واشراك المرأة في التنمية، وكلها من اجل الترول الميداني..ولكن ما زال التعالى وتغييب العامة هو السائد..ويعترف المهندسون المعمـــاريون بـــأن الابنية الشاهقة والفنادق الفخمة قد يتهيب من دخولها عامة الناس، والأبواب الزجاجية الشفافة التي تبدو للناظر وكأنها مفتوحة كثيراً ما تسبب في اصابات وجـــروح بســـبب التصادم الذي يحدثه الشخص المندفع للدخول، ولا يدرى ان امامه (حاجـــزا زجاجيـــاً) ..وايضا السيارات المظللة التي لا ترى من بداخلها تجعلك تمسك أنفاسك حين تمر من أمامك.

البعض يمر مروراً ...سريعاً على بعض متاجر الاقمشة والملبوسات وربما يطمئن في السوق العربي عندما يسمع (اربع ونص) على ايقاع راقص ... ولكن تزيد دقات قلبه عـــندما يجـــد امامـــه الأمكنة اياها او على شاكلتها فلا يطيق حتى النظر لاشياء بعيدة المنال..ولعل اماكن الباعة على الرصيف يلتف حولهم الناس بينما يتخوفون الذين تمكنوا وتكدست جيوبهم بأوراق البنكنوت من التوقف هنا..وهناك من يألف مكاناً واحداً ولا يدخـــل سواه...ومن الاماكن التي يهابها الناس اقسام الشرطة والمستشفيات والسجون بالطبع.

هـــناك امـــاكن تحس فيها بالأمان والاسترخاء..ولذلك هناك من يستعجلون العـــودة الى بيوتهم ..ويشعرون بالقلق طالما هم خارجها ..والبعض يهاب البيت ويحس بالطمأنينة عندما يكون خارجه خاصة إذا تحولت الاسرة الى نقابة كثرت طلباتها..البعض يـــتهيب مكـــان العمل ويستمتع بالتسيب.. وهناك من يهاب المدن التي يزورها للمرة الأولى.

وبأســـاليبه كـــان الفنان الذي يريد التحرر من حصار غرفة مغنقة يرسم على جـــدران مناظر تغطيها بالخطوط المجسمة والاشكال ما يهيئ للعين انطباع الخروج من الحصار...ولعل الفنان يستعين الى جانب ذلك بكساء الجدران بالواح من المرايا تضاعف الاحساس بالمساحة وتعطى الانطباع بالاتساع، وهذه المحاولة بالفن قد تكون طيبة ما لم يحـــاول اختـــبارها، فـــالأبواب المرسومة على الجدران ليست مخارج للحركة، والنوافذ المرســـومة ليســـت مطلات على الطبيعية يجئ منها الضوء او النسيم أو الريح، والمقاعد المرسومة تبدو كالقاعد لكن محاولة الجلوس عليها مؤدية للسقوط على الارض..كما ان المـــرايا تنكسر وتجرح إذا نسي احد نفسه ومشي اليها يظنها امتداداً رحيباً واتصالاً بغير عوائق.

فيا أيها الذين اخذتكم المهاجر في سفر الجفاويا من قلتم لنا في زياراتنا المتفرقة لمهاجــركم كيف حال السودان الشقيق ينتظركم فك طلاسم ملامح كثيرة وفي ذلك الوقــت لابــد مــن بــرنامج (اعــرف الخرطوم) ولا أستثنى الذين أغتربوا اقتصادياً وسياسياً..فالمكان ليس كسابق الأمكنة والزمان ما زى بقية الأزمنة وشكراً لمن قال ذلك فقد اسعفنى في الخاتمة.

في الطبيعة الأنثى هي الأصل

هل اضطهاد الأنثى في عالم الطبيعة هو موقف اصيل في جميع الأحوال ؟

وقعت يدي على دراسة لوضع الأنثي في عالم الحشرات رصدها متخصص له دراية اكثر بها من بقية الكائنات الاخرى، ولنأخذ مثالنا الأول من أكثر الحشرات نظاما، تلك الكائنات المدهشة التي تسمى "النحل" والتي تتجدد الدهشة كلما ازداد التأمل في نظام حياتها الفريدة، فالأنثي هنا ملكة متوجة بحق وهي الأم الوحيدة لجميع الأفراد في الخلية كلها، فهي التي تضع جميع البيض طوال فترة حياتها حتى يصل عدد ابنائها مليونا ونصف المليون خلال سبع سنوات هي متوسط عمرها المديد، كما ان الملكة هي التي تحدد جنس المولود، فتنتج ذكوراً أو إناثاً حسب حاجة الخلية، وفي هذا تتفوق علينا نحن البشر المساكين.

ولكن أين ذكور النحل من كل هذا ؟ بصراحة الذكور هم تنابلة الخلية، فهم لا يؤدون اي عمل ويعيشون عالة على الآخرين، دورهم الوحيد في هذه الحياة انهم يلقحون الملكة ! وهم يقومون بهذا الدور مرة واحدة خلال عمر الملكة الطويل .

هناك حكاية متداولة في التراث الشعبي المصرى، تحكي عن سيدة أكلت ذراع زوجها أثناء نومه!، ولكن في عالم الحشرات هناك سيدة تأكل زوجها كله! والحشرة المقصودة هي "فرس النبي" فأثناء عملية التلقيح تقوم الأنثي الأكبر حجماً بقطع راس زوجها بواسطة أرجلها الامامية المزودة باسنان حادة تشبه المنشار، ثم تلتهمه بعد ذلك بكامله لتصبح الحقيقة تقول : أنه بانتهاء عملية التقليح ينتهي دور الذكر في الحياة.

نفس هذه الظاهرة وهي التهام الزوج بعد التلقيح تحدث في عالم العناكب، والعناكب ليست من الحشرات ، رغم ما هو سائد ولكنها قريبة منها في التصنيف،

وتعتـــبر من أشرس المخلوقات على ظهر الأرض قاطبة، بل أن البعض يعتبرها أشرس من النمور، ولهذا السبب فإن عملية التلقيح بينها تشبه في خطورتها لعبة (الروليت الروسى).

والذكر يجب ان يتوخي كل جوانب الحذر وهو يقترب من الأنثي، فهو ينتهي في الغالب شهيداً للحب، وهناك نوع من العناكب السامة يسمى "الأرملة السوداء" ذلك أن الـــزوجة هـــي دائما وبالضرورة أرملة فقدت زوجها، الذي التهمته في سبيل حفظ النوع!!.

وفي حالـــة حشـــرة (خنفساء الماء) يلقى كل عبء تربية الصغار على كاهل الذكـــر، فالأنثى تضع البيض في الماء، وإلى هنا ينتهي دورها، ويقوم الذكر بجمع البيض بكـــل عناية ويضعه على ظهره ويستمر في حمله طيلة فترة الحضانة، حتى يفقس، ويفعل ذلك عن طيب خاطر دون ضجر أو ملل.

وأشـــبه بعالم نساء الأمازون المحاربات، والتي تقول الاساطير بانهن قد استغنين عـــن الذكور نهائيا، وقمن بتكوين مجتمعات نسائية بحتة، هناك في عالم الحشرات ظاهرة الـــتكاثر البكري وتعني امكانية توالد الاناث بدون تزاوج او تلقيح حيث سمحت لبعض الحشرات بالاستعاضة عن جنس الذكور نهائيا، فالحشرة المعروفة بحشرة المن أو العسلة، تعيش في مستعمرات بها الاف الافراد، ولا تحوى المستعمرة ذكراً واحداً، وهي تستمر في الحيـــاة الى ما شاء الله، وتتكأثر دون الحوجة لاي تدخل من جنس الذكور، ولا تشعر الأنثى من افراد المستعمرة باحتياجها لذكر يحميها ويرد عنها نائبات الدهر.

ان الطبيعة تقدم الأدلة على تفوق الأنثى، فأين وكيف حدث الخلل إذا في عالم البشر، إن السياق المنطقى لعملية التواجد البشرى، قد تم تقطيعها واخضاعها عبر مسألة أساسية هي: مسألة السلطة، لأن علاقات القوة هي التي حددت مسار التاريخ، فأسست بذلك ترتيبات سلطوية، كانت السلطة الأبوية الذكورية أحد أبنيتها الرئيسية.

وكـــلمة أخـــيرة الى ذكور البشر : تواضعوا، يرحمكم الله !! وشكرا للدكتور عابدين محمد زين العابدين الذي أسعفنى هذه المرة.

حينما لا يكون هناك صحفيون !

لم تكن الصحافة يوماً ولا يجب أن تكون فرعاً في جمعية ماسونية تحيط نفسها بالسرية والغموض، لأن ذلك مناف لطبيعتها على طول الخط.. وإذا كانت الصحافة بشكل عام، لا تمل من مطالبة الحكومات والمؤسسات بالشفافية والوضوح، فإنها مطالبة هي الاخرى بذلك امام القارئ..

هناك حاجة حقيقية لأن يعرف القراء قواعد اللعبة الصحفية : اي معايير الصحافة وأسلوبها وبنيتها، وكذلك كيفية كتابة الأخبار والسبب في كتابتها..

هناك ضرورة مؤكدة تستدعى تعامل الصحفيين مع الحقائق وليس المشاعر، فلا يجب على الصحفى ان يصدق كل شيء، بل عليه أن يبحث عن الحقائق ، وعليه أن يكون مستقلاً عن أية مؤسسة أو أية قضية، فالصحفي بشكل عام ليس مجاهداً، وباستثناء الصحافة التي نذرت نفسها الدفاع عن قضية معينة والترويج لها، فإن المطلوب من الصحفى ان يعرف كل الحقائق دون ان يخفى شيئاً..

هناك صحافيون يريدون أن توزع صحيفتهم أعلى معدل ممكن لانهم يعملون في بيئة تنافسية يسعى الكل الى زيادة نسبة التوزيع والاعلانات، ولكن الصحفى لا يفكر في بيع الصحيفة وهو جالس على مكتبه يكتب (مادته الصحفية) لكن الصحف في أحيان كثيرة تقوم بتشكيل مضمون الأخبار لترضى المعلنين، وحرصا منها عليهم فإنها قد لا تنشر خبراً عن سقوط احدى الطائرات في صفحة بها اعلان لشركة خطوط جوية مثلا..

بالطبع، دائما تفوز الأخبار المحلية على حساب الأخبار الخارجية، ثم أن هناك أخباراً كثيرة جديرة بالنشر، وقد يندهش بعض القراء إذا لم تتحدث الصحف عن خبر

ما.. وقد يكون هذا الخبر لم يصل إليه فضول صحفى لأنه حينما لا يوجد صحفيون لن تكون هناك اخبار..والحكمة القديمة تقول : هل تحدث الشجرة ضجة عند سقوطها ما لم يسمعها احداً !

الصــحفيون مصلحون وليسوا ثواراً..قال قارئ هكذا واستطرد: هل يستطيع الصــحفيون الــتجرد من انتماءاتهم الاجتماعية والسياسية ؟ وهل يتعاملون معنا بنفس الشــفافية الــتي يطالــبون بها؟ لا اعتقد ذلك فهناك قصص قاسية يكتبونها ولا يملكون الاثــبات...وهناك اخبار يلفقونها ويدركون بعدها عن الحقيقة..فهل هذا عدل في حق الذيــن خــارج هذه اللعبة الصحفية؟ وكيف يحرص اي قارئ على صحيفة معينة إذا اكتشف يوماً أنها كذبت عليه؟

لم تكــن الصحف الأولى تشبه تلك التي نعرفها اليوم، بل كانت اشبه برسائل تحــوى الأخبار، وعمد بعض الرجال في روما في القرن الخامس لكتابة رسائل اخبارية وارســالها الى اشخاص كانوا يعيشون بعيداً عن العاصمة، وفي عام ٦٠ قبل الميلاد قام يوليــوس قيصــر بتأسيس شيء أشبه بالصحيفة الحالية.. لكن أول صحيفة صدرت في القرن السادس عشر بواسطة "آل فاغور" وهي عائلة المانية مشهورة في مجال الصيرفة، إذ قام هؤلاء بتأسيس نظام تجميع الأخبار.

بين الساسة والنساء ..!!

سئل حكيم صيني : اتفضل ان يكون امبراطورية الصين رجلاً ام امرأة ؟

فقال الحكيم : إذا كان الامبراطور رجلاً حكمت النساء وإذا كان امرأة حكم الرجال، فلهذا افضل ان تحكم الصين امبراطورة.

هـــناك الكثير من النساء اللاتي اشتركن في الحكم وصناعة القرار السياسي من وراء الكواليس..وهناك من اشتركن في الحكم زمناً مع الهن لم يكن في مناصب سياسية ظاهرة للعيان..وهناك الكثير من النساء العربيات لعبن دور "مدام رولان" ..التي كانت مـــن أعظم نساء فرنسا، أنشأت حزب "الجيروند" وملأت القلوب حماسة، وجعلت من زوجها وزيراً!

وهناك ا لسياســـي الـــذي بـــاع نفسه لعمله فحاول ان يشترى لعمله جميع النفوس، والساسة كالنساء، اغلى ثمن يدفع "كمهر للمرأة" يدفع في المرة الأولى، وكلما زادت المرات تضاءلت القيمة، حتى تصبح كقيمة التراب.

النساء يقفن امام المرأة ساعات طوال..والساسة كذلك، إلهم أمام مرأة بيضاء إذا اقـــترب منها الوطني ارتسمت فيها صورة الوطني الكبير، وإذا اقترب منها صاحب الاحلام انطبعت عليها صورة رجل يبحث عن مجد عريض "وإذا اقترب منها لص بدت وفيها رسم زعيم عصابة لصوص.

ويقول مصطفى امين صاحب فكرة : هذا هو ما يحير الناس، فالاطار لا يتغير ، والصـــورة تتبدل وتتغير، تشق طريقها وتتعثر، ويحسب الناس أنه مثل الممثل القديم (لون شأني) له الف وجه...والواقع ان المرأة واحدة..والذين يطلون فيها يتغيرون..

عجـــبي للسياسي الذي كل شيء باعه بثمن، فلا عجب إذا حاول ان يشترى كل شيء بالثمن...لا تلوموا من يشترى ..انما لوموا من يبيع..

عجـــبي للسياســـي عندما يكون كتمثال جميل في اي صالون، يجذبك مظهره ويعجـــبك منظره، وترضيك اناقته، وتدهشك شياكته، وقد غلب عليه المنظر والمظهر، وطغت عليه الاناقة، فلم يترك مكاناً لاناقة النساء...

بعـــض الساسة والنساء يشتركون في الثرثرة..فنحن العرب أمة من الثرثارين، نتكـــلم كثيراً فنخطئ كثيراً، والذي يجلس بيننا صامتاً نعتبره داهية وحكيماً وعبقرياً لا مثيل له..بعض الساسة يدخل المجد من الباب العمومي وبعضهم يدخل من الباب الخلفي ليس له ماض ولكن له حاضر ومستقبل.

(محمد آدم) وشرخ السودانيين (١)

لـــن أكظم غيظي على من كان السبب .. واتحسس قلبي لعله توقف من هول الصدمة (الجريمة) .. وفي الوقت نفسه أتحسس ذلك الشرخ العميق الذي اصاب سودانيتي مـــن آثـــار الجرم... فالحساسية المفرطة التي تعامل بها السودانيون وسط تدفق روايات الصـــحف والمســـارات الـــتي اتخذها الحدث...كلها كانت نتاجا طبيعيا لعنصر المباغتة المفاجـــأة ..فهذه الجريمة التي بدأت تسترسل خيوطها وتنكشف خفاياها جاءت صلتها الأولى بالمدعو "محمد آدم السوداني" وكانت الاولى في سجل الجنايات اليمني التي تسجل باســـم ســـوداني في تـــاريخ السودانيين في اليمن الذين عرفهم المجتمع اليمني في الريف والحضر بالسلوك المتميز لسنوات خلت.

وبالـــرغم من ان السلوك المشين والشذوذ والانحراف صفات لا تعرف جنساً بعيـــنه..وكل المجتمعات تصاب بمثل هذا الداء، ولكن السودانيين الذين مدو حبال الود والصـــدق لأبناء اليمن واندمجوا فيهم دون غيرهم من الجاليات صدموا واصطدموا برد فعـــل احدثته الغضبة الاولى في الشارع اليمني بعد ان اغرقه سيل جارف من الروايات الصـــحفية ضاعت بينها حقيقةو ان المدعو "محمد آدم" لا يمثل بسلوكه الشاذ وتهمته – التي تنتظر قول القضاء فيها – كل السودانيين على أرض اليمن إلا إذا تم استنساخهم من تلك الصورة التي هزت الشارع واهتزت لها قلوب السودانيين.

لن أكظم غيظي على من كان السبب ..ولكنى بحسي الصحفى اعرف ان رد الفعل لم يكن واحداً وان صورة السودانيين لن تتغير بين ليلة وضحاها، ولكن الروايات الصـــحفية المتضـــاربة والـــتي قد تنقصها الحقيقة إذا ما كانت مرجعيتها لا ترتكز على المعلومات تتعرض بالطبع لاضافة خيال الشارع الواسع والشفاهية والنقل مع كل متنقل،

فتحدث التعبئة الخاطئة وان كان ضحاياها بعض السودانيين الذين تعرضوا لمحاكمة البعض ايضا من الذين تأثروا واستأثروا بنصيب أكبر من التعبئة، وطعن "عماد نقد" بجنبية في مدينة تعز في فخذه واصاب الهلع المدرسين الاكثر انتشاراً في جبال اليمن وسهولها وبين احضان قبائلها واصبحوا رهائن لتداعيات حدث اصبح مادة توزيع للصحف وتصفية حسابات بين معارضة وحكومة بعد ان تجمدت كل القضايا إلا منه، والشذوذ الذي يصاحب الجريمة قد يصاحب رد الفعل عليها وقد تختلف افرازات التعبئة من شخص لآخر.

الجالية السودانية نفسها خالية من سجل الشذوذ الاجرامي ولا تسمع انفجاراً إلا إذا كان اطاراً لسيارة.. فمن اين جاء هذا المدعو "آدم" ؟... لن ننكر الوثائق الثبوتية التي يحملها وحمل معها جنسية هذا البلد المسالم المتسامح، ولكن تحقيقات الصحافة السودانية تقول ان اصوله منحدرة من تشاد ونيجيريا، ولكن هذا قدر السودان الذي تحده تسع دول وتداخل حدودي تتداخل من خلاله القبائل والسحنات..

وحتى التدفق الاريتري الذي يشهده السودان الآن من جراء الحرب الأثيوبية – الاريترية قد يخرج منه من يحصل مستقبلاً على وثائق ثبوتية سودانية .. وحتى لو كان المدعو "آدم" سودانيا خالصا لحما ودما ليس عندى ما اقوله سوى الكلمات التي قالها لي شيخ يماني طاعن في السن قضى عقوداً من سنين عمره في السودان :"يا استاد محمد ..على وجهي .. فهذا الذي سمعت عنه ورأيت صورته في الصحف لا يحمل من السودان غير الانتماء الى بلد، وليس كل منتم الى بلد يقدر سمعتها او حتى يتخلق بخلقها ".. فقلت "يسلم وجهك يا ابي، فكلنا في الهم شرق..وآدم يعود لآدم الذي عودنا مفارقة الجنان"!!

(محمد آدم) وشرخ السودانيين (٢)
كاليجولا.. قال .. لك.. سوداني !!

توقفت هنيهة ومداد قلمي يسبق تفكيري للكتابة عن جريمة كلية الطب. ولكن ليس هناك من مخرج فالقضية استلبت كل عقولنا نحن معشر "الصحفيين" ..اما انا فوجدت نفسي.. الصحفي السوداني القريب من فوهة البركان الذي انفجر في الصحافة اليمنية وكذلك اقرب إلى فيالق الصحفيين اليمنيين.. وانه لامتحان عسير ان تواجه مثل هؤلاء الذين يؤثرون في الرأى العام .. وإذا كان بعض ابناء جلدتي يتعرضون ومازالوا لغضبة من تعبأ وانفجر في الشارع .. فإنني أواجه العبوة نفسها وكلمات الصحفيين اجتمعوا حولي وهم كثر فبيني وبينهم (صحفيون بلا حدود).

ان أيام الكراهية تمر ببطء ..والرائحة النفاذة التي اصابت كل إنسان بالغثيان قد نشرت معها هرمونات الكراهية وكل شيء لمجرد اي شيء.. ولكن رغم الرائحة النتنة من جريمة هكذا .. ووسط أيام الكراهية هذه نفكر بصوت مكتوب مع اصدقائنا الصحفيين اليمنيين..فالحقيقة هي الغائبة ونحن غائبون معها ايضا..ولكن هناك لغز غير مفهوم حول القضية وحول عامل المشرحة المتهم الذي يحاكم حالياً...

والمثير للجدل ان الرجل لا يجد حرجا في تأكيد جرائمه في غياب شهود الدفاع او الاتهام وفي استفزاز واضح للعدالة ولذلك أمسك المحامون زمام الأمر عسى ان يوجهوا الرأى العام وحتى تسجل سابقة قانونية تعرض رجال القانون للافتراء والسخرية..لأن ما حملته الصحف وما يراد لها يسير- ومازال- في حلقة تكهنات تدور حول نظرية اثبتها المتهم كونه القاتل والمهووس بضحاياه دون تحديد واضح لدوافع الجريمة وشبكتها العنكبوتية.. وانضم الشارع الذي اعتمد على البينة السماعية وتحول هذا المتهم "الكارثة"

الى اسطورة يذكرنا بأيام "كاليجولا" احد المنحدرين من سلالة حكام الرومان والذي كان سلوكه بالنسبة للنساء بالغ الغرابة والشذوذ.. فقد أمر بطلاق اخته ليتزوجها وتطليق زوجات كثيرات من ازواجهن ليصبحن ازواجا له وعشيقات، ومن أعماله انه قرر يوما تقديم جميع "الصلع" من المساجين طعاماً للوحوش التي كان يربيها ليستمتع بالعابها المختلفة .

وبدأ بذلك أول سيرك دموى في التاريخ، وكان وهو يحتضن زوجته أو عشيقته يقول له ضاحكا: "سوف يسقط هذا الرأس الجميل فوق رقبتك بكلمة تخرج من فمى"..فهل يريد هذا "المدبر" أن يقول أنه دون جوان زمانه وفي استطاعته اقناع ضحاياه في أقل من الثانية بجاذبية لم يخلق لها مثيل من قبل ومن بعد !!

سؤال يسكن الوجدان ويستحوذ على الانسان .. أين الحقيقة ؟

وضحية الضحايا هي الفتاة اليمنية التي ضرب شرفها في مقتل وأصبح مستقبلها في مهب الريح بعد أن استطاعت أن تزيل حاجزاً مهما يعيق دخولها الجامعات. واليوم جعلوها هدفاً وتعاملوا معها كأنثي وجسد لا كعقل وإبنة علم.

سؤال يسكن الوجدان ويستحوذ على الإنسان..والسؤال الذي يفرض نفسه هل يمكن لفرد شاذ أو مجموعة شواذ وأفراد من ورائه أن يقهروا الحقيقة ويدمروا الخلق القويم أو أن يجبروا الشمس على الشروق من الغرب.

وأضح وضوح الشمس أن الانسان في مجتمعاتنا تم اختزاله في اللا شيء ولا قيمة له ودخل بلحمه ودمه في منظومة الفساد الذي شمل كل شيء...والفساد الذي بات يهددنا، ذلك الفساد من النوع المسكوت عنه: هو فساد القيم والمعايير وفساد إنسانية الإنسان..إن الفساد الذي ظنه البعض حكراً على المال بسرقته أو القتل من أجله لا يبدو فساداً أمام سرقة الحقوق المعنوية والانتهاكات الجسدية والإنسانية.

وســرقة الإنســان لاخيه الإنسان وابتلاعه كله.. انه فساد ينتقل الى الضمير ويجعــل من الإنسان حيواناً وليس الحل في زوال العابثين والمجرمين وزوالهم الجسدى عن حياتنا ولكن الحل في ان تحل القيم التي غابت وان ترفرف الإنسانية في التعامل الإنساني.

في مــثل هــذه الجرائم التي يكون الرأى العام طرفاً فيها تكون مهمة جهات التحقيق والقضاء اكثر صعوبة ولكن الحقيقة تحتاج لوقت لكشفها حتى نرسخ المصداقية وحــتى لا يــتعرض الرأى العام لاغتصاب العقول بعد ان اغتصبت اجساد من افراده، فالجــرائم قد وقعت ولكن الأهم الحقيقة لتبقى درساً ينتظره المستقبل الذي لا يخلو من المجرمين ..ويا أبناء السودان الذين قدر لكم ان تكونوا في موقع الحدث والحديث اضبطوا النفس وانحنوا لعاصفة أيام الكراهية..والمجرم من ارتكب الجريمة لا غير.

(محمد آدم) وشرخ السودانيين (٣)
أيام الكراهية طالت حفيدات (بلقيس)

في أيام الكراهية التي انبعثت من الرائحة النتنة لجريمة كلية الطب الغامضة كان صــوت حفيدات "بلقيس وأروى" هو الأعلى، تقدمن الصفوف في التظاهرات الطلابية الـــتي اندلعت في الحرم الجامعي والشارع ولسان حالهن يقول :"إذا كان العري كشف عورة بالنسبة للبشر، فإنه بالنسبة للحقائق غاية العفة ومنتهي الشرف"، كن يدركن تماماً أن الأنثى لا تلفت أنتباه الشارع الذي يهيمن عليه الرجال إلا للتأكد من أنها لا ترتكب خطــأ قــد يجللهم بالخزى، أو يوقعهم في المشاكل، على ذلك يمكن الافتراض ان نجاح امــرأة وتطور تجربتهم طيلة عمر بأكمله أمر غير مألوف وحافل بالغرائب التي تبدو في حياة الرجل اعتيادية لا تكاد تلفت الانتباه.

في أيام الكراهية هذه حاكمها الشارع بنظراته غير الثاقبة التي اصابتها في مقتل وعــاد بها إلى أيام الجاهلية الأولى، فمن قال ان البيت أولى بها والعودة الى عصر الحريم صوناً لها، ناسين ومتناسين ان المجتمع الذي يكون فيه الرجل صعلوكاً، متشرداً، سكيراً، مدمــن مخــدرات، أو العكــس، أو غير هذا أو ذاك، هو ذات المجتمع الذي تكون فيه الفــتيات ضــحايا ظروف اقتصادية جرفت بهن الى طريق الانحراف او بعضهن ضحايا مستعمرة الرجال وشبكاتهم الفاسدة ..وكله..كله .. من الرجال !!

وبدلاً من أن نحاكم صاحبات الصون والعفاف إلا من انحرف منهن وهن قلة، يجنــب ان نحــاكم مــن أرادوا اختراق مجتمعاتنا المحافظة وارتدوا نسيج رجال التفسخ الفاســدين الذين ادغموا حرية المرأة في (حرية) سوقهم، فشاع الاغرء والعراء واللذة، فصارت تجارة الجنس دعامة اقتصادية ومجالا استثماريا مضمون الربح، وشهير هو شعار

الحركة النسائية الامريكية القائل :"المرأة "البيضاء" سوداء بالنسبة للرجل الأبيض". والمرأة هنا بيضاء لأن المرأة السوداء كانت الى جانب اضطهاد الرجل الاسود لها واقعة معه تحت وطأة اضطهاد عرقى ابيض يشملهم معاً.

إن ما قطعته اليمن من خطوات في تعليم الفتيات اصبح واقعا ملموساً.. فمن ذا يـــريد بهن سوءاً ليعود بهن الى سنوات الجهل والتخلف، المقولة القديمة أن رحلة الالف ميـــل تـــبدأ بخطوة تنطبق هنا، ففى الجمعيات التي تقودها المرأة اليمنية واتحاداتها بدأت باتخاذ خطوات صغيرة نحو مواطنة كاملة للنساء والفتيات في مجتمع تسوده العدالة، ومن بين هؤلاء الزوج والزوجة اللذان يرفضان اخضاع ابنتهما للجهل والتخلف عن فصول الدراســـة، والقاضـــى الـــذي يترل اقصى عقوبة بالمغتصب، والشاب الذي يشارك في الاجـــتماعات المناصرة لقضية المرأة، والبرلمانيون الذين يعدلون قوانين لتلبى حقوق المرأة والفتاة.

إن مـــا يحـــدث في أيام الكراهية هذه يعتبر عنفا ضد الفتيات، ووقف العنف يتطلب تغيير المفهوم الراسخ بأن المرأة هي من حيث الجوهر اقل قيمة من الرجل، وعند تـــأخذ المرأة أو الفتاة وضعها كعضو قوى ومساو في المجتمع يمكن حينها فقط النظر الى العنف ضدها باعتباره شذوذاً يبعث عن الصدمة بدلا من كونه حالة طبيعية مستورة.

يجـــب الا ننسى في غمرة انفعالاتنا بجريمة الطب أن تعليم الفتيات هو السلاح الفعـــال ولن يهزمه حفنة من الاشرار، فإن مجرد وجود البنات في غرفة الصف الدراسى هو إيحاء قوى للأولاد حول موضوع المساواة، كما ان ارتقاء النساء مدارج السلطة هو تحـــد لهيـــاكل السلطة القائمة وانحياز لقضايا بنات جنسهم اللائي لهن حق الانتخاب والتصويت.

قد تصل بك الحياة الى مرحلة اشبه ما تكون بالاختيار الخاسم وأنت في قارب نجـــاة لا يتســـع إلا لشخص واحد، عندئذ تندفع الى انتزاع اليد العابثة بالقارب، وإلا هلكت أنت وبقي صاحب تلك اليد العابثة يسرح ويمرح في المجتمع، وحفيدات "بلقيس" يقـــع عـــلى عـــاتقهن الضغط لكشف العابثين، ولن يسلم الشرف الرفيع من الأذى، وســـتكون الصفعة أكثر إيلاماً على حملة رسالة العلم السودانيين من صفعة المدعو "آدم" إذا اســـتهدفت أيـــام الكـــراهية هذه تعليم الفتيات وتسببت في تراجع المسيرة التعليمية لحفيدات "بلقيس" ومرة أخرى لن أكتم غيظي على من كان السبب!!

(محمد آدم) وشرخ السودانيين (٤)
عفوا أيها القانوني الخطيب!!

لقد درجت صحيفة "الأسبوع" في تغطيتها المتميزة لقضية كلية الطب أن تعطي رجال القانون مساحة معتبرة، وكان المحامي الخطيب أحدهم فهو يحاول أن يمسك بخيوط القضـــية بما فيها المتهم فأصابه ارق القانوني الذي يبحث عن الحقيقة، هكذا كان حال المحـــامي الخطيب، فقد عهد الى الرجل بأمانة ثقيلة وقاسية يواجه من خلالها قضية أشبه ببيت العنكبوت المتشابك يوشك إلا يعرف له نظام ولا توجه ولا بوصلة، يواجه نظرات الغاضبين من أبناء جلدته بتساؤل مرير: لماذا تدافع عن هذا المتهم ؟ ويلتفت الى القانون الـــذي يمتلكه فيذكره بان المتهم برئ حتى تثبت إدانته، وهو في أرقه المتواصل من أجل الوصول الى الحقيقة يردد مقولته التي قالها لــ"الأسبوع" أصبحنا كالصيادين نذهب الى البحر ولا ندري بأي صيد نعود!!".

هكـــذا ســـيظل حال الخطيب الباحث عن الحقيقة ولكن حاول البعض هذا الاســـبوع جـــره إلى خارج الحلبة، وكان ذلك مبعث الحيرة حتى نحن في حيرة من امر هؤلاء الذين يعارضون كل شيء حتى ابتذلوا كلمة معارضة واعتبرها بعضهم أسماً مميزاً له كسائر الأسماء، فبينما ذلك يعارض هناك ويتحدث باسم كل السودانيين وكأنه ممثل لهم يقـــوم أعوانه وبأسلوب "الحلبي" المتخصص بالمزايدة عن دعم المحامي متناسين ان المحكمة التي أوكلته كفيلة بتقدير أتعابه وربما هاجس الكشف عن الحقيقة الذي يؤرقه والتي نذر نفسه لها اسمى وأكثر أهمية في اولويات أهدافه القانونية.

نعم أصدقك القول أيها المحامي الذي ارتبط أسمه بأول قضية رأى عام يمني.. لم نســـمع بهم وذلك القانون الذي يتحدثون بأسمه لم يحملوا منه سوى ما يشبع طموحاتهم

الخاصـــة تحـــت مظـــلة الرأسمالية بأسم الاستشارات القانونية وبهويات أجنبية ولذلك أصبحت المعارضة طريقا انتهازياً لاعادة التوطين والابتعاد عن بيوت الطين، فماذا ننتظر من أمثال هؤلاء !! فإن هم تخلوا عن ابجديات القانون اليوم فقد تخلوا من قبل عن وطن بأكمله!! ومصيبة هؤلاء انهم يريدون للعقول أن تغيب، فلا تبقي إلا عقولهم ، ويريدون للأفكـــار أن تندثر، ولا تستمر سوى افكارهم بعد أن نصبوا انفسهم القضاة الوحيدين والجلادين الوحيدين، فهم أصحاب نظرية "كل من يخالفنا فهو عدونا" ولذلك يكونون دائمـــا أبعـــد عن التعامل بكياسة مع الأحداث طالما أنهم دائما ينطلقون من احقادهم. ويلتفون هذه الأيام حول الطاؤوس القادم اليهم من المجهول !! فالإنسان خلقه الله ليؤدى رسالة وليكون رمزاً وليكون نموذجاً لأجمل ما تمثله النفس البشرية.

عفـــواً أيها المحامي الخطيب، نحن هنا لم نعد على قلب رجل واحد فقد تبدلت الهويات ومـــا عاد أولئك السمر الذين عرفتهم يحملون هوية واحدة فلك العتبى حتى ترضى، فإن مســـك منهم سوء، فقد مسنا الكثير من قبل، ولكن ما ذنبك حتى يدخلوك في دائرتهم الشـــريرة، فإن كنت تبحث اليوم عن الحقيقة في أكبر قضية شر فاعلم أن الشر له أوجه عديدة، ولكن يا أيها القانوني الضليع، لدينا العزاء أنه عندما يزداد عنفوان الصراع يزداد مجـــد النصـــر، ومـــا نحصـــل عليه بثمن غال فهو وحده الذي يستحق البقاء والتكريم والاهتمام، فأنت اخترت بإرادتك الحرة ان تتصدى لهذه القضية أما المستقبل الشخصي الزاهر فقد ملكت ناصيته من قبل ولا أعتقد انك تبحث عن الاضواء، وأنت كما رددت دائمـــا باحث عن الحقيقة وليس مدافعاً عن المتهم، لأن حكم القضاء الجالس هو الذي سيصـــدر في نهايـــة المطاف وتبقى جهودك القانونية سابقة يتزود بها دارسو القانون في المستقبل، فالقانون تراكم من التجارب والخبرات.

وأخـــيراً أيها المحامي العزيز : أنت في وطنك تبحث عن الحقيقة في قضية تخص مواطــنيك أيــاً كانت جنسية المتهم، ولكن نقول لهم : ليس من شيمنا أن نتنكر لأبناء جلدتنا وأن اقترفوا جرماً فالقانون كفيل بهم بالداخل والخارج، وإن كان القدر وضعنا موضـــع هـــذا الحدث القضية فذلك بسبب الرحيل وإن كان الرحيل رحيلاً جغرافياً لا استغراباً وجدانيا.

والوطـــن فـــيما يقول محمود درويش :"ليس دوماً في الوطن، والمنفى دائما في المـــنفى"، ويـــروى الـــرواة عن المؤلف الايرلندى الشهير جيمز جويس مقالة بليغة عن الأوطان :فقد سئل إبان غربته في القارة الاوروبية إن كان يتوق الى دبلن التي يهواها : قال :"ومتى تركتها"؟ ومرة أخرى لك العتبى حتى ترضى.

ملتحون..حلقوا من الإسلام سماحته !!

إذا كـــانت الطمأنيـــنة شرطاً مهما للصلاة.. والتي هي الصلة بين العبد وربه فكيف تطمئن قلوبنا وطلقات البنادق تخترق المساجد بين الخرطوم وصنعاء على التوالي.. ولم يجــف الحـــبر الذي كتبت به تفاصيل حادثة اطلاق النار على مسجد في رمضان بضواحي العاصمة السودانية حتى اقشعرت الابدان لحادثة عمران..وإذا استدعينا الذاكرة لتذكرنا عدة حوادث مشابهة في السنوات القليلة الماضية.

حادثة مسجد السودان في رمضان كان بطلها متطرف وصل عدد ضحاياه الى (٢٣) قـــتيلا وعشرات الجرحي أسمه عباس وقد أطلق تهديده قبل التنفيذ بأنه يتقرب الى الله بقتل جماعة انصار السنة أما هو فيتبع جماعة التكفير والهجرة.. ثم ان مصطلح التكفير والهجرة لا يعنى بشكل دقيق جماعة بعينها فقد استنبط هذا المصطلح الاعلام المصرى في أوج التطرف الديني في السبعينيات من القرن الماضى.. ليميز به هذه الجماعات التي تعزل المجتمع وتكفره ان لم يتبع فكرهم ولم يثبت اطلاقاً انهم كانوا جماعة تنظيمية واحدة. بل في الأغلب هي جماعات متباينة الأهداف والافكار تصل الى مرحلة تكفير بعضها بعضاً.. ولا تطـــلق أي مـــن هذه الجماعات على نفسها مصطلح التفكير والهجرة بل يستخدم معظمهـــم تعبير "جماعة المسلمين" وقد أثبتت البراهين أن افراد هذه الجماعات عادة لا يدخلون اليها رأساً حتى تدفع بهم الخلافات الى استنتاجات فكرية محبطة.

إلى متى نظل رهائن التعميم الذي يكتسح الحقائق بمقدمات فاسدة ونتائج اكثر فســـاداً، وحتى إذا لم تكن خلافاته فكرية.. لماذا القتل في وقت الصلاة والضحايا ركع وسجد..هل هذا هو الإسلام الحق حتى تنشره هذه الجماعات التي شذت شذوذاً يبعث على القلق.. ارادت ان تجعل السجال بينها وبين خصومها حرباً دينية.

المارق عليهم مرتد عن دينه والساقط عليهم زنديق، والناقد لهم شيطان رجيم!! وبالرغم من ذلك تجد من يدافع عن هذا العبث المشوه للإسلام بل ويفتى في تبريره. متى يعلم هؤلاء ان العلماء من عباد الله الذين يخشون ربهم هم اولئك الذين كشف الله عنهم غطاء الجهل ليتحلوا ببصر نافذ في الكون ويبصرون غيرهم.. متى يختفى اولئك الغياهب الذين يعطلون الاسباب. ان الذين استعصوا على التطور كما استعصت عقولهم على النمو ليسوا بقادرين على الاحاطة بمشكلات البشرى نأهيك عن القدرة على حل عقدها.

أن المسلم الحق انسان فوق العقد.. فوق الشبهات..انه لا يشترك في شيء مع اولئك الذين وجدوا في التطرف والاصولية حلا لكل عقدهم الرجالية.. وجدوا في تطرفهم رداً على عجز عاطفى او انتقاماً لذاكرة طبقية او تنفيساً عن عقدة نفسية.

لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم.. بالتأكيد لم يحتمل الضمير السوداني هذا الترويع فالإسلام لم يدخل السودان بحد السيف بل نشرته الطرق الصوفية وتذكرت حينها الشيخ يوسف الدين، الشيخ محمد احمد خليفة، الشيخ محمد ماضى ابو العزائم في السودان هذا الرجل الذي تربطني به صلة قربى سبقتها صلة روحية. فقد كان الإمام أبو العزائم يقول : التصوف الأخذ بالأصول والترك للفضول والتشمر للوصول، وانه مفارقة الاشرار، ومصادقة الاخيار ومتابعة الأثار والاخبار. وعرف الامام الصوفية فقال : هم الذين صفت قلوبهم من شوائب الكون وتطهرت من وجس الشهوات وتعلقت هممهم بالله تعالي... والشرع عنده يقوم على أربعة دعائم هي : العقيدة الحقة والعبادة الخالصة والمعاملة الحسنة والأخلاق الكريمة.

حرب تنهي كل الحروب ..!

إننا نعيش في عالم فيه أسلحة نووية .. وبانتهاء الحرب الباردة وانفراد واشنطن بالعالم وقولها الاخير بأن للناتو الكلمة الأولى والأخيرة .. فنحن لا نركن الى منظمة الأمم المتحدة .. وبعد ان اصبحت روسيا جريحة وذبيحة فستكون فظيعة.. وما أخطر "فرفرة" الذبيح، خاصة وأنه يمتلك ترسانة نووية .. وقد مضى عهد الابتزاز النووي ولذلك نخشى من الضربة الأولى .. ففى العصر النووى ، لم يعد في الوسع التوسل بالحرب باعتبارها أداة للسياسة كما قال نيكسون في كتابه "نصر بلا حرب" ولم يعد من المبالغة في شيء ان يقال أن الحرب المقبلة التي تنطلق شرارتها الان من البلقان ستكون "حربا تنهي جميع الحروب" لأنها ستنهى الحضارة كما نعرفها.

لقد مضى العهد الذي قال فيه ستال ين يوما "الاسلحة النووية هي أشياء يمكن استخدامها لترويع ذوي الاعصاب الضعيفة" .. ويبدو اليوم ان الاسلحة النووية قابلة للاستخدام من جانب روسيا او الهند او باكستان او الكيان الصهيوني .. ويبدو استعمالها اقرب من واشنطن التي فقدت صوابها وتحولت الى شرطي العالم.

الذين يؤمنون بخرافة السلام من خلال نزع السلاح يجادلون بأن سباق التسلح هو مصدر جميع الشرور في العالم، وأنه يتعين بالتالي إيلاء أولوية مطلقة لمحادثات الحد من الاسلحة في المفاوضات، وهم يجادلون وفي رأيهم ان التراع الكامل للسلاح كفيل بضمان السلام.. فالحرب لا تنجم عن وجود الاسلحة، بل عن الخلافات السياسية وما أكثرهم اليوم.. فسباق التسلح لم يتسبب ابداً في حرب، ولكن الدول العدوانية التي لها مطاميع اقليمية كثيراً ما تسببت فيها، وتغدو الحرب شديدة الاحتمال، لا عندما تتقاعس دولة دفاعية وتخسر السباق .

ومـــا تكديس الأسلحة بسبب من اسباب الصراعات السياسية، بل هو عرض مـــن اعراضها، ولئن اجتهدنا في التخفيف من حدة العرض، فواجب علينا الا نتجاهل المرض، لانه حتى لو تخلصنا من قنبلة نووية هنا او هناك فلا يكون في وسع أي شخص ان يمحـــو العـــلم بكيفيـــة صنع القنبلة ..فالاسلحة النووية هي في متناول عشرات من البلدان.

ومـــا يوجد الآن من قنابل نووية أقوى من القنابل الذرية التي محت هيروشيما ونجـــازاكي بمـــرات كـــثيرة .. فلو كان الناس ملائكة، لكان بالامكان حظر الاسلحة النووية، ولكنهم ليسوا كذلك.. وعلينا الا نعيش في تفاءل نحسب بأنهم ملائكة.

فـــإذا كـــان كلينتون قد نسي الأسبوع الماضى حقيبة الزر النووى التي توجه بالضربة الأولى في احدى قاعات الاجتماعات، فإين يا ترى حقيبة الزر النووي الروسية. وهذا يجعلنا نتذكر بأن المعركة الحاسمة قديما كانت تصرع شخصاً واحداً أو أكثر، ولكن اليوم فإن طلقة واحدة في العصر النووي تستطيع ان تقتل مئة مليون !!

لو كنا مكانهم لفررنا نحن أيضا ..!!

عندما فرغت من إعداد ورقة لندوة اللاجئين التي ستعقد في صنعاء – قريباً – جاءني صدى الحرب الهندية الباكستانية في بداية سنة ١٩٧١م عندما قال مانيكشو القائد العام للقوات الهندية، وكان النصر في تلك الحرب من نصيبه :

"ان انديـــرا غـــاندى قالت له في توجيهاتها ان هناك موقفا ينشأ في البنغال لا تستطيع الهند ان تتحمله وسبب هذا الموقف هو تدفق اللاجئين بالملايين من شرق البنغال "بنغلاديش حالياً" وان الهند تتحمل الأعباء الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لمدة تتراوح ما بين عشرة شهور الى سنة ولكن بقاء اللاجئين إذا طال اكثر من ذلك فسوف يكسر ظهر الهند ولابد من عمل مسلح هدفه بالتحديد هو فتح باب العودة امام هؤلاء اللاجئين ليعـــودوا الى ارضهم التي طردوا منها.. او هربوا منها بسبب الارهاب.. وكانت حرباً شرسة من اجل اللاجئين ".

الشـــهيد الفلسطيني غسان كنفاني قال للسيدة"أني" وهي دنماركية وقد تعرف عـــليها عـــندما جاءت الى سوريا لدراسة احوال الاجئين وطلبت منه ان يساعدها على معـــرفة الحقيقـــة داخـــل مخيمات اللاجئين..وقال لها غسان لابد اولا ان تعرف القضية الفلســـطينية فالاجـــئون في المخيمات ليسوا حيوانات معروضة في حديقة للفرجة فقط ولكـــنهم ثمـــرة ورمـــز لقضية كبيرة ولا يمكن فهم احوال اللاجئين بدون فهم القضية الاصلية فاللاجئ قضية تمشي على قدمين.

لـــو كـــنا مكانهم لكنا قد قررنا نحن أيضا هذا ما قاله وزير العدل والشرطة السويسرية امام شعبه وهو يفسر التدفق المفاجئ للالبان القادمين من كوسوفا وقال انهم يهـــربون مـــن تدمير وصراع مسلح وحشي وناشد السويسريين ان يبدوا تفهما لحالة

الاشخاص الذين يلتمسون الحماية .."كيف يمكنك البقاء مع الذين قتلوك؟ اذا كانوا قد قتلونا في الماضى فإنهم سيقتلوننا في المستقبل أيضا" قالها لاجئ كوسوفي وهو يقسم على انه لن يعود الى الوطن حتى بعد التوصل الى اتفاق بنشر المراقبين الدوليين في الأقليم.

وقــالت امرأة بوسنية لدى عودتها الى بلدتها التي شهدت ابشع مجزرة للمدنيين منذ الحرب العالمية الثانية :انى حزينة وسعيدة على حد سواء اليوم إن أسرتى مدفونة في هذا المكان وانا استطيع رؤية داري من هذه الناحية أننى لا احتاج لشيء آخر.

ان اللاجئين الافغان في إيران هم أقرب الى العالم المفقود الذي نسيته الحضارة.. تنـــتاب بعض اللاجئين اشباح التجارب التي مروا بها ويتذكر بعضهم أنه حمل ١٠٠ من الركاب اللاجئين وعندما بدأ الماء يتسرب الى القارب امر القبطان الركاب الذكور بان يترلـــوا من جانبى القارب حيث يرمى اليهم بحبل يمسكون به ولكنهم غرقوا الواحد تلو الآخر وأمر القبطان بالابحار تاركاً الضحايا.

وفي سنوات غياب الدولة الصومالية وبعد سكون فصل الرياح الموسمية من كل عام يتم الخروج الجماعي بالقوارب من شمال شرق الصومال الى اليمن وقد واكبته آثار مأساوية وغرق المئات أثناء العبور... ودخل مئات الآلاف الى المخيمات.. والحرب في جـــنوب السودان تقذف بمئات الآلاف لاجئين عبر الحدود في السودان نفسه. لاجئون اثيوبيون واريتريون ويوغنديون ولاجئون من دول افريقية اخرى.

ويقول انصار اللاجئين ان المضايقات في أوروبا التي تدعي حقوق الإنسان بالغة حيث يتم وضعهم في مناطق محجوزة ولا يتم أخبارهم إذا كان سيطلق سراحهم أم لا.. وقـــال احد المحتجزين من غرب افريقيا لقد هربت من الديكتاتورية والسجن في بلدى الآن اجدني في نفس الوضع في أوروبا.. واخرجت حقبة الحرب الباردة تحركات جديدة

للاجــئين واصبح النازحون بمثابة مخالب سياسية في الصراع بين الشرق والغرب وكان وقتها اللجوء على أساس ايدولوجي.

وقــد طــبقت عملية ابادة الاجناس في رواندا في عام ١٩٩٤م وتتذكر الفتاة المراهقة والدها وهو يجمع افراد اسرته من حوله كان يقول أنه لا يريد ان يرأنا نموت او نذبــح امام عينيه وأن البعض منا سينجو إذا ما صادفه الحظ !! لقد كنت لاجئا سياسياً يوماً ما.. ومازالت اسباب اللجوء مفتوحة !!

يوم ضاعت هويتي في محفظة النقود !!

هـــناك مـــدن كـــبعض النساء تجردك من كل شيء وتقذف بك الى الشارع مجهـــولاً...ولكل مدينة رائحتها ونكهتها المميزة..عرفت مدناً كثيرة وعواصم شتى.. في كـــل واحدة منها كانت لي ذكريات ومواقف يمكن ان تضمها دفتا كتاب.. وكنت لا اكـــتفى بالشـــاهق من عمرانها والانيق من جدرانها ولكننى اتعمق في قاعها وحواريها وازقـــتها واتعمـــد المشى على قدمي حتى التصق بترابها الذي قد يحكى تاريخا ضاربا في القـــدم ولا احتمل زيارة تقودني من المطار الى الفندق وتعود بى هكذا..سمعت عن مدن تنشـــل زائـــريها ومـــدن يهابها القادم إليها لأول مرة وأخرى تتربص بك وقد تعتدى عليك.. دخلت كثيراً منها دخول قائد فاتح اجبرها على الخضوع ولكنه ارتمى عاشقاً في احضانها تصالحت معه ومهدت له دروبها ليتعرف عليها.

في قـــاع العلفى، في ذلك اليوم من يناير الجارى ٢٠٠١م جنت على صنعاء.. فقـــد كـــانت المرة الأولى في تاريخ كل المدن التي اتخذتها محطات لسفر جديد ان يكون مســـرح الهواجس مدينة ما كنت يوما اعجل منها بالرحيل وكان قطاري يتوقف فيها طويلا ويعتذر سائقه عن مواصلة المسير فهي محطته الأخيرة ايضا في ذلك اليوم تحسست محفظة نقودى فلم أجدها.. لعن الله الأوراق النقدية فقد كانت سبباً في ضياع بطاقات الهوية.. إنه مبلغ ضئيل من المال لا يخطر على البال ولست حزينا على فقده بقدر حزني على بطاقات الهوية لأنها من النادر ان تعود اليك طالما ان هناك شبهة للمال قل او كثر.. تجمـــد الـــدم في عروقي فجأة وتوقفت الخطي بعد أن تحولت فجأة الى شخص مجهول الهويـــة وأنا الذي كنت دوماً أحرص على التجوال وتلازمني الهوية حتى تلتصق بجلدى التصـــاقا .. في تلك اللحظات كانت هويتي فقط سروال الجينز الذي اعتاد عليه زملائي

الصحفيون وكان يمثل هوية ثانية غير مكتوبة او مرسومة ولكن هواجس قالت: ماذا لو دهســتك الان ســيارة مسرع يقودها طيش شباب طالما شاهدتهم من قبل وانت تكتم انفاســك. مــاذا لو تحولت الآن الى جثة مجهولة الهوية طبعتها صحيفة تبحث عن من يتعرف عليك؟.. هل تجهلنى الصحف التي سلكت طريق مهنتها.. وهل يتنكر لي البياض الذي فضضت بكارته وسودت بقلمي سطوره ؟ هل كان يجب في ذلك اليوم ان ارتدى الجلــباب الســوداني ناصع البياض ؟ هواجسى سبقتنى الى الرد: ما كان اللون الابيض سينقذك حينها لأن اللون الابيض خدعة الالوان وسيزيد الامر غموضاً وان كان يمثل لك هوية زي لكنه لا يحل محل بطاقة الهوية التي تحمل اسمك ورسمك وعنوان الضحية.

انهــا هواجس في لحظة عابرة ولكنها الواقع الذي يحيط بالعابرين سواء كانوا مشاه او ركوباً..براً وبحراً وجواً لابد من حمل الهوية ولو اسماً على ورقة بياض صغيرة أنه حــق مكتسب منذ لحظة الميلاد يلازمك حتى الممات وحتى الأموات يصبح لهم عنوان ثــابت.. وحــتى الباخرة التي توشك على الغرق تبعث باشارة ضوئية تطلب النجدة او تطلب اثبات هويتها.

نحــن ننتمى الى اوطان لا تهتم كثيراً ببطاقات الهوية مع انها تنتج كل مبررات المــوت.. لابد من أن يكون كل إنسان معلوماً لا مجهولاً لابد ان يكتمل السجل المدني وان يكــون مــرجعية للســجلات الانتخابية في كل بلد.. كيف نفوز في الانتخابات باصــوات انــاس كتبت اسماؤهم في جداول الناخبين وغابت في تحديد هويتهم وكيف نعدهــم في التعداد السكاني ونجهل هويتهم في الشارع العام.. تلاميذ المدارس الذين لا يحمــلون بطاقــات هويــة عــلى صدورهم هم ضحايا مدرسة غيبتهم وجلست على ذاكــرتها.. لابد ان تختفى الاعلانات على الصحف التي تطلب التعرف على هذه الجثة المجهولة الهوية.. من الذي ساهم في تجاهلها ؟؟

اعتقد أنه قمة السلوك الحضاري عندما نجد بطاقات هوية فقدها اصحابها ونحاول ايصالها لهـــم فهـــي تحمل العنوان حتما حتى النشالين فليكن لهم من شهامة النشل ايضا ايصال بطاقـــات الهويـــة والاحتفاظ بالمال حتى يتوبوا .. وهواجسى انتقلت الى زوجتى عندما قـــالت لي : لقـــد شاهدت فيلما في احدى القنوات اتهم فيه شخص برئ لمجرد وجود بطاقات هويته التي فقدها في مسرح الجريمة وزادت .

متى تسكت البنادق في بلدي !!

أشعر دائما بالاعياء والتعب، ولكنني لا أذهب الى الفراش، فهناك شعور خفي يقــول لي بــأن الذيــن يقعدون الآن لن يقوموا أبداً، فجأة كعادتي قررت السفر الى السـودان، وعـندما تطبع هذه الكلمات أكون بمشيئة الله بين النيلين الازرق والابيض، ولكـنها لن تكون إجازة كبقية خلق الله، فمتي يستريح من ارتبط رزقه بالكتابة، ومتى كان عنده الخيار بين الصحة والكتابة، أنا دائما أريد ان أقول شيئاً، أحياناً استطيع قوله بكـتابة الخبر الرئيسي وأحياناً بصياغة خبر صغير اجتماعي، فمن أصيب بداء الكتابة، فحقـاً هو صاحب قضية كبيرة وحية وغنية بأحداثها اليومية المتواصلة، من بين الأفكار الـتي تنـتاب المسافر قبيل السفر وحبال الشوق الممدودة نحو الوطن وشريط الذكريات هتفت كهتاف صديقي العزيز سلطان الصريمي:"على جنب" وتذكرت أصوات البنادق الـتي لم تسكت في جنوب السودان، إنها أطول حرب أهلية في القارة الافريقية لازمت السـودان منذ استقلاله وحتى اليوم في زمن المحارب جون قرنق الذي يعشق الحرب حتى الـثمالة واصبحت القضية عنده الحرب لأغيرها، ماسأة غريبة وعنيفة تحمل كل عوامل الهـدم والدمار والجنون، وبالرغم مما تحمله من عواصف كبيرة إلا أنني احتفظت بنظرة الطفل المذهولة والبريئة، فماذا سيفعل تاجر الحرب هذا اكثر مما فعل ؟ لن ينال منا سوى الاحتقار، ولن نقول فيه كما قال مارسيلنو دوش سانتوس – نائب ساموراً ميشيل الذي أنهي خطاب النعي بالعبارة :"المعركة مستمرة – سننتصر" وردد الشعب من بعده وصار أسم ساموراً على كل لسان، وارتبطت الانتصارات باسمه، فهو قائد حرب التحرير ضد استعمار استيطاني شرس و لم يقارب الأربعة قرون في موزمبيق!!

وســرعان ما سيطرت قضية الحرب على تفكيري ومرت بخاطري تلك اللوحة مــن خــلال الحــرب الأهــلية الاسبانية عندما حاصرت القوات الفاشية أحد مواقع الجمهوريــين في منطقة جبلية جرداء، ظل الموقع الجمهوري يقاتل طويلا، أتي الفاشيون بمدد، أطلقوا رصاصاً ومدافع، ظل الموقع الثورى يقاتل، أتوا بطائرات وبمزيد من الجنود، اســتمر القــتال، ثم توقــف الرصاص، كان الموقع الثورى قد أطلق آخر ما يمتلك من طلقات.

وانقــض الفاشست على الموقع فوجدوا.. لا شيء، مجرد رجل عجوز وحيد وبــندقية قديمة خالية من الرصاص، كان العجوز هادئاً ومبتسماً، وكان قائد الفاشست يمتــلى غيظــاً، وأصدر أمره باعدام العجوز، ومشى العجوز هادئاً ومبتسماً الى ساحة الإعدام، إزداد الفاشى غيظاً واستوقف العجوز قائلا :"أرجوك، هل يمكنك أن تفسر لى لمــاذا خضــت كل هذه المعركة، لماذا ارهقتنا كل هذا الارهاق، وأنت وحدك وسط مجموعة من الصخور الجرداء، عن ماذا كنت تدافع ؟؟".

كــان العجوز لم يزل مبتسماً وهو يخرج من جيبه لقمة خبز وديواناً من شعر لوركــا مبل بالدم، وأجاب":كنت أدافع عن هذا! ولو أعطيتموني وقتاً آخر ورصاصاً جديداً، لما ترددت ولعدت اقاتلكم من جديد دفاعاً عنهما!!".

وعــودة الى الحــرب أيضا، من الشائع عند بعض الباحثين أن نابليون وحملته المشهورة على مصر لم يجد أي تجاوب معنوى في البلاد، فلم تظهر قصيدة واحدة تتغنى بنابليون او بالحملة الفرنسية، وهؤلاء الباحثون يتصورون أن النفاق له حدود، وأن غزوة مثل غزوة نابليون لمصر لا يمكن ان تجد شاعراً منافقاً يتغنى بقائد الغزوة الفرنسية أو يتغنى بالغــزوة نفســها، لأن الــناس جميعاً كانوا ضد نابليون وغزوته، و لم يقف مع الحملة الفرنسية أحد على الاطلاق سوى "المعلم يعقوب" وهو رجل مرتزق عديم الوطنية، قام

بتأليف جيش من المرتزقة لمعاونة الاحتلال الفرنسى وقد انتهي أمر "المعلم يعقوب" بالخروج من مصر مع الحملة الفرنسية التي اضطرت الى الجلاء تحت ضغط الثورة الشعبية والمعارضة الدولية، وقد مات "المعلم يعقوب" على السفينة التي كانت تحمله مع قوات الاحتلال الى فرنسا، فوضعوه في برميل من النبيذ حتى لا تتعفن جثته، الى ان وصل الى الاراضي الفرنسية فدفن فيها، ومازال قبره هناك.

وكان من المستبعد جداً ان يوجد أديب أو شاعر يتغنى بنابليون واحتلاله لمصر، ومع ذلك فقد ظهر هذا الشاعر، ولم يتردد في أن ينافق نابليون بقصيدة مدح من ثلاثين بيتاً، ولعل هذا الشاعر المنافق قد تصور ان نابليون سوف يستقر في مصر والشرق العربي، وأنه سوف يحكم هذه البلاد الى الأبد.

وقد أشار الدكتور إبراهيم عبده الى هذه القصيدة، ونشر جزء منها في كتابه "تاريخ الصحافة والطباعة خلال الحملة الفرنسية" وهذا الشاعر المنافق هو "نقولا الترك" جاء من لبنان ليعمل كاتباً ومترجماً مع الفرنسيين !!

اريد أن أنحرف .. ولكن !!

إن الوصول بالطرق الشريفة مستحيل، فمن الواجب أن تتدنس اليدان إذا أراد الإنســـان ان يحيا حياة طيبة، فهذا هو الشعار الأكبر للاخلاق الذي يصوره "بلزاك" في إحـــدى رواياته.. وقد امتلات رواياته بصور الانتهازية والشر والبحث عن الثروة بكل الطرق والأساليب، مما جعل الناقد والمؤرخ الأدبي جوستاف لانسون يقول:"إن بلزاك لا يحسن الكتابة في الفضيلة و الرشاقة، وإنما تبدأ عبقريته عندما يتجه الى الابتذال والرذيلة".

وليـــس معنى هذا الكلام أن "بلزاك" يقف مع الشر ضد الخير، ولكن معناه أن الكـــاتب الكـــبير قد جعل من أدبه نقداً عنيفا وفاضحاً للشر،وأن رواياته تكشف عن الكـــوارث الـــتي يؤدى اليها البخل والبحث غير الشريف عن المال، والصراع من اجل النجاح على حساب أي قيمة إنسانية اخرى.

إن مـــتابعة ابداع "بلزاك" كوميديا إنسانية بحق وحقيقة ، لقد كان المال كل شيء في المجتمع الفرنسى في تلك الفترة..كان المحور الأساسي للحياة.. يرفع الإنسان أو يخفضـــه.. ولكن ما أشبه ما حدث قبل قرنين بما يفعله اصحاب القرون في هذا الزمان الذيـــن يسعون فساداً وبكل الوسائل لامتلاك قوة المال السحرية بسائر أنواع المغامرات العمـــلية.. وجدت نفسى في لحظة انعدام "الفلس" أننى شهيد الانحرافات الناتجة عن هذا لصراع الاقتصادى العنيف، وهو صراع شرس لم يكن يهتم بالمبادئ الإنسانية ولا يقيم وزنـــا للاخلاق، وكان الهدف الوحيد امام الجميع هو النجاح وأمتلاك الثروة.. قال لى صـــديق كان يخطط للانحراف لكن عن طريق المزاح :"أن الانحراف اصبح عصياً.. لقد احـــتكروه وســـدوا دروبـــه، إن امتلاك أدواته صعب ولكن الذين نجحوا في الانحراف

يعتقدون الهم من خلال الثروة يستطيعون الحصول على الحب والسلطة والقوة والنفوذ، واي شيء آخر ظلوا يحلموا به ويطمعون فيه".

أريد أن انحرف.. كانت نزوة عابرة.. كانت رغبة طائشة.. ما أحلى الحراف.. ما أحلى أن تجد سداً منيعاً في طريق الانحراف .. إنه أشبه بطريق جهدت فيه مركبه في الصعود.. تكنسه الرياح ويغشاه الغبار الذي يبحث عن مسام الجلد كي يلتصق بما ويزيدها جفافاً .. مـــا اقـــبح جـــلد المنحرف على سيل من النتانة منجرف .. وتلك الافكار المنحرفة وجـــدت معابرها في كتابة هذا الاسبوع.. الحمد لله الذي اخرج مني الأذي وعافاني.. لأن الانحراف حين يستفز الوعي ويستحثه فهو لن يسيطر على الواقع .. خاصة هي نزوة انحراف في الوقت الضائع.. صادفت الدنيا "صيام" ونحن في رمضان.

وعودة الى "بلزاك" في سلسلته الروائية المعروفة باسم "الكوميديا الإنسانية" وبين هـــذه السلســـلة روايتان مشهورتان في الأدب العالمي هما "اوجيني جرانديه" التي ترسم صورة البخيل وعاشق المال والذي ادى به جنون البحث عن الثروة واكتنازها الى تدمير حياة ابنته الوحيدة، فقد حرمها من الزواج ممن تحب طمعاً في ان تتزوج من رجل غني، وانتهت الرواية بوفاة الأب، حيث ورثت ابنته كل ثروته ولكن بعد ان اصبحت عانسا كبيرة في السن فعاشت مع ثروتها الضخمة وحيدة حزينة مكسورة القلب.

وفي روايـــة "الاب جوريو" الذي أهلك نفسه وحياته في جمع المال من اجل أن تظهر ابنتاه بمظهر الثراء وتستطيعا مجاراة المجتمع الارستقراطي التافه الذي تعشقان الحياة فيه، وانتهت حياة الاب بأن يموت وحيداً بائساً فقيراً دون أن تسأل عنه واحدة من ابنتيه الغارقتين في الترف.

أنا شخصياً استطعت مقاومة الانحراف في شرب القهوة حتى لا يقال :ان قلبه كـــان متعـــباً بســـبب الارهاق والمبالغة في شرب القهوة ليستعين بها على مقاومة النوم ليكتب كثيرا ويجمع ثروة طائلة .. ولكنه رحل عن العالم!!

محمد عبده صاحب الأسم

عفـــواً عزيزي القارئ.. فالحديث عن الذات لا يهم إلا الذات، ولكن اليست الكتابة تحقيقاً للذات .. وبالرغم من أنني أحمل اسم الشيخ محمد عبده وافتخر به كذلك خاصة وأن التسمية اطلقها على والدى – رحمة الله – لأنه كان من انصاره والمتحمسين لافكاره..وجدت نفسى بعد ان اشتد عودى ونضجت أفكاري منجذباً لافكار اليسار في ذلـــك الوقت غير انى ما انقطعت يوماً عن الالتزام بقراءة كل ما كتب هذا الشيخ الجليل وكل ما قيل عنه وكان دائما يزلزل افكارى ويشدني إليه وكانت قناعتي ان هذا الشـــيخ يؤكد كل مرة أنه صمم على أن لا يتدخل في شيء ثم يأتى الغد وتجده منغمسا فيه أكثر مما كان، ذلك لأنه يعكس ما يراه عموم الناس في أنفسهم، كان عنده أمل لا يزعـــزعه شيء في اصلاح أمته، كان عنده اعتقاد متين بأن البذرة الطيبة متي القيت في الأرض الخصـــبة نبتت وازهرت واثمرت كما نبتت وازهرت واثمرت بذور الفساد فيها، لهذا كان يلقى بملئ يديه كل ما جمعه في حياته من الأفكار الصالحة والعواطف الشريفة والتعالـــيم المفيـــدة، كأنه يشعر ان حياته ليست طويلة فكان يعجل ببذل جميع ما كان عنده.

وأذكر والدى عندما يناديني بهذا الاسم وينظر لى معاتبا وليس وصيا يخفق قلبي وأقول لنفسى : هل اوفيته حقه وكيف ذلك والناس لا يذكرون من الكبراء إلا مواضع عظمتهم الحقة، المواضع التي تتصل فيها نفوسهم بنفس الإنسانية تأثراً باقيا على الاجيال في تعاقبها.

وكما قال على الجارم، لم يمت من يزول من عالم الحس وتأبى أثاره ان يزولا.. فالاسم ليست حروف تدون في الوثائق الثبوتية أوفي ملفات الأجهزة الأمنية عندما تكون

محظـــوراً في مطـــارات عديدة .. ولكنها صفات يتمنى من يطلقها ان تجد مكاناً في من يحملها.. ولذلك لم تطلق أسماء مثل جمال، عبد الناصر، غاندى، نهرو، جزافا ومن قبلهم وحتى اليوم أسماء الأنبياء والصحابة إلا تيمنا بهم واستلهاماً لسيرهم العطرة..

نـــريد من هذه الأسماء أن تلهم الأجيال المتعاقبة وتجعلها تبدع وتتميز وتبتكر بـــدلا مـــن تكرار افكار الغير التي حفظناها كما يحفظ الاطفال القرآن الكريم .. نرتاد المجالس ونجتمع الى العشرات من اقراننا ومن يكبرهم وتسمع منهم جميعا كما سمعته من الأول ولا تجـــد فكـــرة غريبة تشدك أو تعبيرا جديداً أو أسلوباً مبتدعا حتى لا تجد من يدهشك ويجذبك بعجائب جنونه واصبحت الحياة رتابة وكل ما فيها رتابة فوقها رتابة حـــتى الـــذي يستفزك ويذمك لا تجده احيانا لان الاستفزاز والتحرش الذي يصدر من البعض يولد في نفسك حماسة الغضب التي تنبه الاعصاب وتنشط الذاكرة والقوة وتغريها بالاســـتمرار والثبات ويأتى ردك في ابداع ما يكون .. ولكن يجب ان يكون الرد يحمل ســـلوكاً اخلاقيـــا لا خصومة فاجرة وتفاهات يتصف بها بعض الذين يعطلون عقولهم ويمدون ايديهم مقبوضة .. لأن السلوك اخلاق تطغى على الاسماء والصفات...

وكم حزنت يوماً وأحسست بعقدة الذنب نحو الاسم الذي احمله وصفاته .. كان ذلك عندما تعرضت لمحاولات اغتيال الشخصية لرأى أحمله ومن حقى كصحفى أن يكـــون لى ذلك.. لكن المعركة تركت أثارها السلبية في نفسي ومهنتي التي احبها حتى اصبحت مرهفا تسبب خدشة عابرة منى جرحا غائراً يسيل دماً.. واصبحت متأهباً دوما للتصـــدى لأية إهانة وقال لي صديق صدوق: لقد أصبحت مقالاتك سوط عذاب لمن رمـــاه ســـوء حظه في دائرة غضبك... رفقاً بقلمك ما هكذا كان محمد عبده صاحب الاســـم!!.. وصـــدق صديقي .. وصدق الصادق المهدى واهتدى عندما قال الأسبوع الماضى أن الحوار مع الخرطوم احدى الحسنيين!!.



الكاتب يجلس مع السفير اليمني السابق الارياني ويستعد الى
العودة الثانية الى صنعاء .



الكاتب في جلسة مع شيخ الصحفيين اليمنيين صالح الدحان
والمستشار الصحفي لرئيس الجمهورية اليمنية عبده بورجي



- الكاتب من مواليد العام ١٩٥٧ م من أهالي المحمية بولاية نهر النيل . متزوج وله اربعة اطفال .
- إمتهن الصحافة منذ العام ١٩٨٣م بوكالة السودان للانباء (سونا) بعد ان درس الآداب والترجمة .

في العام ١٩٨٨ م غادر سونا الى صنعاء والتحق بصحيفة « ٢٦ سبتمبر » اليمنية وبعد قيام الوحدة اليمنية في عام ١٩٩٠ م عمل سكرتيرا لتحرير صحيفة « المستقبل » الصادرة في صنعاء ومراسلا لصحيفة الشرق القطرية. كما عمل مستشارا إعلاميا لمنظمة « اليونسيف » صنعاء .

- في العام ١٩٩٣ م عمل في دائرة الاعلام بمنظمة « اليونيسيف » الخرطوم
- في العام ١٩٩٤ م عمل في منظمات غير حكومية في كل من اثيوبيا وجيبوتي واريتريا .
- في العام ١٩٩٨ م عاد مرة اخرى الى اليمن وشارك في تأسيس صحيفة « الاسبوع » وشارك في تأسيس مركز دراسات القرن الافريقي والبحر الاحمر.
- شارك في مؤتمر الديمقراطيات الناشئة الذي عقد في صنعاء ١٩٩٩ م.
- عضو منظمة الصحفيين العالمية ، منظمة الشفافية الامريكية ، نقابة الصحفيين السودانيين وعضو منتسب في نقابة الصحفيين اليمنيين.
- شارك في العديد من المؤتمرات والانشطة الخارجية كصحفي وكمشارك.
- له دراسة تم نشرها في العام ١٩٨٥ م بعنوان « التجمع تحت المجهر » من خلال مشاركته في إجتماعات ما قبل وبعد الانتفاضة ١٩٨٥ م ومعاصرته لتجربة العمل السياسي بعد مايو .
- له آراء منشورة في عدد من الصحف المحلية والخارجية .
- حاليا صحفي حر Free Lance ، والمدير التنفيذي لمركز تنمية الديمقراطية الخرطوم .

دار عزة للنشر والتوزيع